من رسائل الشيخ محمد البصوبي

المشهور بالحاج امباكي بوسو

جمعه

د/ خديم محمد سعيد امباكي

استانبول ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي

من رسائل الشيخ محمد البصوبي

المشهور بالحاج امباكي بوسو

جمعه

د/ خديم محمد سعيد امباكي

IRCICA LIBRARY
IRCICA
İSTANBUL 1990

استانبول ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول

KIOCA LIBRARY
İSTANBUL
Reg. No: 44678
Class. No: 297
BU.M

تقديم

يضطلع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول (ارسيكا)، التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي، بمهمة إصدار أبحاث في مجالات التاريخ والفنون والثقافة، ونشر نتائجها تحقيقاً للغاية التي أنيطت به في التعريف بالحضارة الاسلامية والحفاظ على تراثها العريق.

ومنذ البداية، كان من أهم أهداف هذا المركز أن يكون مكاناً لخدمة العلماء والباحثين، يتبادلون فيه الرأي وقضايا الفكر في كل ما يتصل بألوان الحضارة الاسلامية، وأن يتابع البحوث والدراسات التي تتصل بمجالات تخصصه، بصورة منتظمة، وأن يبذل الجهد اللازم للتعريف بها.

ومن أجل هذا، بذل المركز منذ انشائه، كل الجهد في تتبع الأعمال التي تدخل في دائرة اهتماماته، واتصل بكثير من العلماء واطلع على كثير من ثمرات عقولهم. وكان من تلك الأعمال "رسائل للشيخ محمد البصوبي المشهور بالحاج إمباكي بوسو" المولود في جلف في قرية يقال لها بصوبي عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م والمتوفى في منتصف عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م عن أربع وثمانين سنة. وقد تولى الدكتور خديم محمد سعيد إمباكي، الباحث في المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء (IFAN) بجامعة الشيخ أنتا ديوب (Cheikh Anta Diop) بدكار جمع هذه الرسائل بالرجوع إلى خزائن قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد المذكور حيث عثر على جزء منها هناك، في حين تحصّل على الجزء الآخر من السيدين شيخ تيورو بوسو ومحمد المأمون بوسو.

ولأهمية الموضوع، جاء قرار المركز بنشر هذا الكتاب وإخراجه الى النور بمناسبة انعقاد الندوة الدولية حول "الحضارة الاسلامية في غربي أفريقيا" التي ينظمها بالتعاون مع المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء (IFAN) في دكار في الفترة من ٢٦ الى ٣٠ ديسمبر ١٩٩٦، مساهمة منه في الاستفادة من هذا العمل وضماناً لبقائه وانتقاله إلى الأجيال القادمة.

وتتصدر مجموعة الرسائل سيرة للشيخ الحاج إمباكي بوسو، يليها مختصر العقائد الاسلامية الأساسية على المذهب الأشعري المنتشر في أفريقيا الغربية، ثم أجوبة الشيخ إمباكي على بعض المسائل الفقهية اعتمادا على كتب المالكية، وبخاصة مختصر خليل ورسالة أبي زيد القيرواني. وتدور معظم الأجوبة حول قضايا الزواج والطلاق والعدة والميراث... ثم النص المتعلق بآداب تعليم القرآن الكريم وفن رسم المصحف الشريف وأجوبة في النحو والتفسير والفقه، ومسائل في النحو والبيان والمنطق والعروض، وأجوبة في التصوف، وبعض القصائد الشعرية، ومقولات في السياسة.

والخلاصة أن النصوص المجموعة هنا ذات قيمة علمية، وكما جاء على لسان جامع هذه الرسائل لم يتم جمع جلّ ما كتبه الشيخ لأن مكتبته احترقت، ولكنها محاولة لمواصلة البحث عن آثاره لكي يتم نشرها تعميما للفائدة.

وقد قام الدكتور خديم محمد سعيد إمباكي بوضع بعض التعليقات لتوضيح النصوص، كما قام بشرح بعض القصائد التي وردت في الكتاب.

وقد تمّ إعداد هذا الكتاب وتجهيزه على الأجهزة الالكترونية الخاصة بالمركز وتمت طباعته في مطبعة المركز.

وانتهز هذه المناسبة لأوجه خالص شكري للدكتور خديم محمد سعيد إمباكي الذي بذل جهداً كبيراً في جمع الرسائل وتوضيح بعض النصوص وشرح بعض القصائد. كما أتقدم بالشكر الى المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء بجامعة الشيخ أنتا ديوب (Cheikh Anta Diop) بدكار.

الأستاذ الدكتور أكمل الدين أحسان اوغلى
مدير عام
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة
الاسلامية باستانبول (ارسيكا)

محتويات

بيد يدي هذه المجموعة
حياة الشيخ امباكي بوسو
رسالة في العقائد "أمان البليد"
أجوبة فقهية
آداب تعليم القرآن الكريم
طرق معرفة القبلة
مسائل من علم الفلك
فن كتابة المصحف الشريف
أجوبة في النحو والتفسير والفقه
مسائل من النحو والبيان والمنطق والعروض
أجوبة في التصوف
نصيحة لعشيرته الأقربين
الأخوة والصداقة
قصائد
مقولات في السياسة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذه المجموعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه. أما بعد فهذه مجموعة تشتمل على ما بلغني من مؤلفات الشيخ محمد البصوبي المشهور بالحاج امباكي بوسو. فقد وجدت جزءا منها في خزائن قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الأساسي لأفريقيا السوداء بجامعة داكار وسلم إلى طائفة أخرى السيدان شيخ تيورو بوسو ومحمد المأمون بوسو. فلما قرأت النصوص أدركت أهميتها العلمية وضرورة العمل من أجل نشرها لتسهيل الاستفادة منها ولضمان بقائها أطول مدة ممكنة.

هذا، وتتصدر المجموعة سيرة للشيخ الحاج امباكي بوسو موجزة كتبها ابنه الأكبر، الشيخ محمد بوسو. يليها مختصر العقائد الإسلامية الأساسية على المذهب الأشعري المنتشر في أفريقيا الغربية عبر شمال أفريقيا وبواسطة عقائد السنوسي المشهورة التي جرت العادة في هذه الأقطار بتلقين النشء إياها ثم شرحها لهم عند قدرتهم على فهم معانيها.

والعقيدة الأشعرية، كما هو معلوم، تخالف العقيدة السلفية في صفات الأفعال كالغضب والرضى والنزول والإتيان إلخ وفي مفهوم الكلام الإلهي والاستواء على العرش. إن الأشاعرة يرون ضرورة اللجوء إلى التأويل في هذا الباب تنزيها للذات العلمية عما يوهم التغير وحلول الطوارئ بها. بينما يرى السلفيون ضرورة الاقتداء بالرسول (ص) وأصحابه – رضوان الله عليهم – في الإيمان بالله وصفاته على مراد الله دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل. ويقولون: "القول في الصفات كالقول في الذات". فإذا أمكن الإيمان

IRCICA LIBRARY

بالذات دون توهم مشابهتها للذوات المعروفة في العالم المخلوق أمكن أيضاً الإيمان بالصفات كذلك، وما ألجأ المؤولين إلى التأويل إلا توهمهم نوعا من المشابهة بين الأفعال المنسوبة إلى الله في القرآن وما يحدث عن الإنسان من ذلك.

أما المسائل الفقهية التي طرقها الشيخ فقد كان يجيب بها على أسئلة عمر لو وأبي بكر سيسي ودمباكاه. وقد اعتمد فيها على كتب المالكية وبخاصة مختصر خليل ورسالة أبي زيد القيرواني.. وتدل أجوبته على تمكن من تفاصيل الفقه المالكي وقدرة لا يمكن إنكارها على الاجتهاد في المذهب لاختيار الأنسب من الآراء القديمة للأوضاع الخاصة بشعبه. ومعظم الأجوبة يدور حول قضايا الزواج والطلاق والعدة والميراث..

أما النص المتعلق بآداب تعليم القرآن الكريم فيشبه ما يعرف عند أصحاب الجمعيات الحديثة بنظام أساسي يبين حقوق و واجبات الأطراف المعنية. وهم هنا المعلمون والتلاميذ. فلم يكتف الشيخ ببيان حكم تعليم القرآن لكنه تطرق إلى أهميته وعلاقة المعلم بالتلميذ والصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها معلم القرآن، بل تعرض أيضاً لتنظيم التعليم بطريقة تنم عن معرفته لنفسية المتعلم. ولا غرو، فقد كان الشيخ معلما مجربا، عارفا بشؤون التعليم. ولا ينبئك مثل خبير.

ونزعته العلمية وحرصه على المساهمة في إيجاد حلول مناسبة لمشاكل قومه دفعاه إلى الاهتمام بعلم الفلك وكتابة النص الوارد هنا الذي أراد به بيان طرق ضبط القبلة لسكان القطر السنغالي. وما أحسن ما قال حين أعلن أنه لا يمكن الاعتماد في هذا المجال على اجتهاد علماء الأقطار الأخرى، لأن

تقريراتهم تخص بلادهم. وعليه، يجب على علماء كل بلد أن يجتهدوا لتحديد قبلتهم. ويبدو أن الشيخ كان واسع الإطلاع على دقائق علم الفلك ومكبا على البحث التطبيقي في هذا العلم حتى أراد أن ينصب مرصدا فلكيا آليا حديثا وكتب في ذلك إلى الإدارة الاستعمارية. لكن السلطات لم تفهم قصد الشيخ ولم تسع للتأكّدِ من جدوى أبحاثه فقررت تجاهل طلبه وارتكبت بذلك خطأ فادحا.

أما فن رسم المصحف فقد كان - كما يفهم من كلام الشيخ - موضع عناية عند أجداد والده الذين كان من بينهم مقرؤون امتازوا بالحرص على حفظ المصحف الشريف وإتقان تلاوته وكتابته. وتوارثوا ذلك كابرا عن كابر تحقيقاً لقول الباري: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

وقد دل تفسيره لقوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته.." (الحج، الآية ٥٢)، على إيجازه، في جوابه على أسئلة أبي بكر سيسي، فهما حسنا لكتاب الله ورغبة صادقة في درء التعارض عنه، كما أثبت أيضاً إحاطته بدقائق علم النحو. ويؤكد ذلك مخطوطه الذي يحمل عنوان "جاء زيد" والذي قصد به مساعدة المبتدئين على فهم أساسيات علم النحو. والواقع أنه بحث في هذه الجملة من زوايا علوم النحو والصرف والبيان والمنطق والفلسفة والعروض، وتعرض لمعنى البناء والإعراب وسببهما ومعنى الإسناد والمسند إليه وكون الإسناد مجازيا أو حقيقيا والموضوع والمحمول والسور الكلي والجزئي والقضايا وطبيعتها. الأمر الذي يكشف للقارئ آفاق علمه الغزير ويثير رغبة طالب العلم في البحث العلمي في شتى العلوم.

وقد كان الشيخ متوجِّهاً مرشدا وناصحا أمينا لعشيرته الأقربيـن. وذلـك مـا تبديه قصيدته التي بدأها بقولـه: "بنـي بـل" إلـخ. وكـان قـد أدرك أن قومـه لـم يعزمهم الله إلا بالإسلام وأنه مهما ابتغوا العزة في غيره أذلهم الله وأن الدنيـا كانت قد دانت لهم لما امتازوا به من كرم الشيم وطيب السجايا وأن الضعف بدأ يدب فيهم وينخر في عظامهم بسبب طغيان الحطام الدنيوي عليهم. فطفق يذكرهم بواجبهم التاريخي الذي عليه قام مجدهم المؤثل. ألا وهو الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر والتشبث بـالقرآن العظيم والسـنة المطهـرة وهداية الخلق إلى بارئهم. فجزاه الله عنا خيرا.

فقد كان دائب السعي لرأب الصدع وتوطيد أواصر القرابة. وذلك ما أثبتـه نصه الذي بين به المقتضيات الشرعية للأخوة والصداقة ومكانـة الالـتزام بهـا فـي ديـن الإسـلام وأهميـة ذلـك فـي تحقيـق التعـاون الأسـري والتضـامن الاجتماعي.

وأخيراً كان الشيخ يجيد الشعر وإن لم يكثر منه. ويلاحظ أن شـعره يجمـع بين الأدب والعلم. فهو ينظم القريض تـارة لتخليد مزايـا ممـدوح قَمَـن بذلـك وأحيانا لتسهيل حفظ أحكام فقهية أو لتوضيح قواعد علمية.

ولعل أقل ما يتوقعه المرء من أمثال الشيخ امباكي بوسو هو الاهتمام بالقضايا السياسية. وبالرغم من زهده في الدنيا وتصوفه المعروف عنـد القاصي والداني، فقد كان الشيخ ابن زمانه ولم يكن يتردد عن الصدع بالحق. وهذا ما حمله على بيان موقفه من انتخاب انغالاندو جوف ورأيه في ذلك السياسي. ولم يكتف بابداء إعجابه بالرجل والإدلاء بشهادته له بل ذكره بواجبه تجاه الله ونحو المواطنين وبخاصة الفلاحين.

ومن المعلوم أن انغالاندو هو الذي رد الشيخ أنت امباكي من منفاه في دولة مالي. وقد كان الشيخ أنت صديقا حميما للشيخ الحاج امباكي. وكان من الطبيعي أن يشكر هذا الأخير السياسي باسم الطائفة المريدية. أما الخطاب الموجه إلى بروفيه فينم عن دبلوماسية مبالغ فيها دلت على حرص الشيخ على العمل من أجل تجنب مزيد من المشاكل ودرء الاضطهاد والدس والفتن عن قومه. ولم يجهل أن الجماعة المريدية كانت تمر في السنوات التالية لوفاة الشيخ محمد بمبا بمرحلة دقيقة كانت تحتاج فيها إلى الوئام والوفاق، ولم يك ذلك يمكن دون علاقات مستقرة وقوية مع الإدارة الاستعمارية. وهذا ما يفسر جنوح الشيخ إلى التطلف والمبالغة في توضيح الوضع الداخلي للجماعة واسترضاء الإدارة الاستعمارية. ولعل من المهم أن يعلم إلى أي مدى تعبر رسالة الشيخ هذه عن رأي أغلبية المريدين وما إذا كان يستشيرهم. وما أحسن ما قال عندما بين أن الشيخ محمد بمبا كان يرد البت في الأمور التي تعني المريدين إلى هؤلاء أنفسهم عملا بقوله تعالى: "وشاورهم في الأمر" وقوله تعالى "وأمرهم شورى بينهم". وضرب مثلا لذلك الجنود الذين طلبوا والأموال التي جمعت للمساهمة في المجهود الحربي أثناء الحرب العالمية الأولى. فقد ثبت أن الشيخ طلب من الوفد الرسمي، الذي قدم إليه ليخاطبه في ذلك، أن يتوجه إلى رؤساء المريدين ويتباحث معهم في الموضوع. ويبدو أن هؤلاء قرروا الموافقة على الطلب تجنبا لتجنيد إجباري ومزيد من المضايقات للشيخ ومريديه.

والخلاصة أن النصوص المجموعة هنا ذات قيمة علمية لا ريب فيها. ولا ندعي جمع جل ما كتبه الشيخ لأن مكتبته احترقت وفقد كتبا قيمة مما ورثه عن أسلافه أو اشتراه أو ألفه. ولا يزال البحث جاريا عن آثار له ولأمثاله،

لكي يتم نشرها تعميما للفائدة. وقد أضفنا بعض التعليقات لتوضيح النصوص كما حاولنا شرح بعض القصائد راجيا من الله التوفيق والسداد.

خديم محمد سعيد امباكي

سيرة الشيخ الحاج امباكي بوسو

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة العالم النحرير والقطب الكبير الشيخ الإمام قدوة الأنام الشهير بالحاج امباكي البصوبي – لا زالت سحائب المرحمة والرضوان بروضته الشريفة مخاطبة بصوبي.

للكبريت الأحمر، ابنه الأكبر، الشيخ المحقق والمقرئ المدقق، محمد، حفظه الله تعالى ورعاه وأولاده في الدارين غاية مطلوبه ومناه.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه خيار الأنيم.

ترجمة الشيخ الوالد امباكي بن محمد البصوبي – رحمه الله تعالى ورضي عنه.

هو الإمام العلامة والبر البحر الدراكة الفهامة، أبو جعفر محمد بن محمد ضما فيهما بن محمد بن محمد فتحا فيهما ابن حماد بن عال البصوبي. ويرفع نسبهم إلى رابع الخلفاء الأربعة. ولا مدخل لي في تصحيح ذلك أو تضعيفه. وحماد نزيل جلف، أس بلاد ولف. خرج من بلاد فوتا طورو في طلب أخ له يقال له عثمان بن عال قد خرج سائحاً متوجها إلى هذه الأراضي حتى انتهى إلى سالم من البلاد الولفية.

فلما وصل حماد إلى جلف كان من قدر الله تعالى أن رآه ليلاً متعرشاً بعض الرصدة بالطرق من الفلانيين وشاهد له كرامة عجيبة فانتظر إلى أن

أصبح الصباح ليكون على بصيرة من أمره. فلما ساء له انسل مسرعاً إلى أمير جلف فقال له: "أيها الملك، إنه يقدم بلادك رجل كذا وكذا أوصافه فشد يدك به ولا يسبقك إليه أحد من الملوك فيغلبك به". فبادر إلى أمر من تلاقاه وأتاه به. فلما جاءه وقد تحقق الخبر لم يظهر له أول الأمر أنه يريد حبسه في بلاده. بل لم يزد، بعد أن سأله عن حاجته فأجابه بمراده، على أن قال له: "استرح عندي فسأجعل صحبتك من يدلك على الطريق إلى أخيك وجعل يسوّفه ويعوّقه ويعلله بما يلهيه عن المضي إلى أهله حتى زوجه في بيت من المسلمين. فصار قاطنا في أرضه حتى توفي - رحمه الله تعالى. فأما أخوه المذكور فقد قطن في تلك البلاد السالمية. فذريته هناك هم جل البصوبيين الموجودين فيها الآن.

ولد صاحب الترجمة في جلف في قرية يقال لها بصوبي عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤م) ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن في صغره وقرأ مبارئ الفنون على والده. وكان والده محط الرحال في طلب العلم في عصره. وكان بيت أصوله بيت علم وتقوى وصلاح من جهة أبيه ومن جهة أمه فاطمة بنت حبيب الله بن مهرم البكي حتى إن جدة من جداته المنجبات قيل فيها إنه قل من يرى من ذريتها مع اختلاف الآباء والأنساب وتعاقب السنين والأحقاب قد عمر أعواماً طويلة ولم يحفظ القرآن. فتبارك الله أحسن الخالقين. وقرأ أيضاً على الشيخ الخديم البكي - رضي الله تعالى عنه - دروساً من التوحيد والنحو والتصوف. ثم ارتحل إلى شيخ يقال له صمب تكلور وقرأ عليه المطولات من النحو والفقه.

وكان جليل القدر عظيم الشأن كثير الفضل. إليه انتهت الرئاسة العلمية في عصره. وكان معتدل القامة نحيف الجسم أسمر اللون حسن الصوت جهيره فصيح اللسان بليغ القول. وكان إذا وعظ ذرفت العيون، كثير التأني والتَّثَبُّتِ في الأمور، طود حلك لا تزعزعه العواصف، طويل الصمت، دائم الاعتبار والتفكر، صواماً قوما.

وألف عدة تواليف واستنبط من علم الميقات نكتا وفوائد لم يسبقه إليها أحد فيما نعلم من أهل عصره. منها ما ذكره في جواب قرينه، حبيبه وخدينه، أخيه الكامل المؤقِّت الذي هو في الفنون مشارك، رئيس المؤقتين، الشيخ الأكبر، السيد أحمد بن عبد الرحمن التندغي. فإنه بين فيه يوم مسامتة الشمس لخصوص وطنه ودلائل القبلة للقطر السنغالي خاصة وأقدام الزوال فيه كذلك. فراجعه إن شئت. ومنها تأليفه المسمى بيواقيت الصلاة فإنه حرر فيه أوقات الصلاة والسحور والفطور من غير اعتماد على أدلة استدل بها أهل قطر لا يشارك هذا القطر في أعراض ولا في أطوال، كما وقع لكثير ممن قبله. والله الموفق.

فقد أردرك من ذلك بتكرار التجارب وطول الممارسة ما يبهر العقول. وكان أيضاً ماهراً باهراً في علوم القرآن كفن الرسم والضبط والتجويد. فإنه أذاع في هذا القطر الراجح مما يتعلق بذلك وما عليه السواد الأعظم من المغاربة الذين بهم اتصلت إلى أهل هذا القطر رواية ولا يلتفتون إلى أن ثم غيره راجحاً أو مرجوحاً. فشمر عن ساعد الجد حتى أظهر ذلك للطالبين. أنظر مقدمته التي جعلها لبعض المصاحف التي كتبها تر العجب العجاب. جزاه الله عنا خيراً. وكان - رضي الله تعالى عنه - يتكلم في نحو عشرين

علما. وأخذ عن الشيخ الخديم – رضي الله تعالى عنه وأرضاه أيضاً – طريق القوم السادة الصوفية – عليهم الرضوان – حتى صار أهلاً لتربية المريدين وترقيتهم، إلا أنه كان موثراً للخمول. وكان – رضي الله تعالى عنه – كثير الحياء، متواصل الاعتزال، دائم الفكرة، معمور الأوقات. فلا يلفى إلا مشتغلاً بما يعني، لم يوجد قط في البطالة وتضييع الوقت. وكان شديداً على نفسه وبنيه وعلى خواص أقاربه هيناً ليناً على الأجانب والغرباء.

وأخذ العلم عنه خلق كثير منهم جل إخوته لأبيه وأبناء أعمامه وبنوه. فقد أدركوه كلهم بحمد الله إلا القليل. وكان مجيداً للعربية في الدرجة العالية بارعاً في جودة الخط عالماً بالتاريخ كاتباً شاعراً مفلقاً مقلاً. فمن أحسن شعره قصيدته الميمية التي مدح بها جناب الشيخ الخديم. ومطلعها:

أراك تعاطي الشعر والقلب هائم على زمن فيه الفصاح بهائم

وهي قصيدة طويلة حسنة، وقصيدته التي أنشأها لحضرة نائب الدولة الفرنساوية، أمير اندر، في شأن الشيخ الخديم يبّرأ الشيخ عنده بما قاله فيه الحسدة والواشون من التهم التي لم يخطر بباله شئ منها فضلاً عن أن يفعله، فظنهم الأمير صادقين حتى وقع ما وقع. وكان أمر الله قدراً مقدوراً. لكن علم بعدُ المحق من المبطل. والعاقبة للمتقين. ومطلعها:

قل للأمير ولا ترهبك هيبته إن المهابة خدن العدل والسدد

وغيرهما من القصائد المحبرة التي منها مراثي لبعض الأصحاب الأعلام. وكان يحيى الليالي بالصلاة وتلاوة القرآن والأذكار والاستغفار ولا سيما في

الأسحار. وكان الشيخ الخديم ولاه القضاء والإفتاء وإقامة الحدود. وكان يجيب عنه الأسئلة الطارئة من الأقطار والبراوات الصادرة من علماء الأمصار ومكاتبة أهل الدولة وغير ذلك من أمور الدين. وبالجملة فقد اتخذه عضداً ومستشاراً في المهمات وأبا حسن في المعضلات. وتوفي الشيخ وهو عنه راض – رضي الله تعالى عنهما ونفعاً بهما آمين. وكان في الغاية القصوى من التواضع وهضم النفس؛ يرى نفسه الشريفة كلا شئ حتى لقب نفسه في بعض مكاتيبه " أفقر الفقراء وأحقر كل من يرى.. فلان".

وبعد قدومه من رحلته لطلب العلم، سكن مع والده في امباكي باول أعوماً وأراحه في كل ما كان يعني به إلى أن توفي – رحمه الله تعالى سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٥م). وفي تاريخ وفاته وبيان قدر عمره، قال:

توفي الوالد عام "سب شئ" عن عز عمره وقيل "كنه حي"

في أبيات بين فيها وفيات بعض الأعيان. وفي ذلك العام أو بعده طرأت عليه طوارئ ضاق بها ذرعاً. منها وفاة والده المذكور واحتراق كبته التي هي أحب الأشياء إليه وإخراج قرة عينه، الشيخ الخديم – رضي الله تعالى عنه – من أرضه الأصيلة كما تقدمت الإشارة إليه حتى اضطر إلى الانتقال إلى ناحية تيواون منضما إلى خليل له يقال له مولاي ناصر، شريف حَسَنِيّ، من أهل مراكش، نزول هذه البلاد مستوطنا وصار من رؤسائها. وكان منه بمنزلة وكيل التفويض واشتغل بجمع الكتب والإقراء والتدريس وأقام معه إلى أن مات – رحمه الله تعالى في حدود عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م).

ولما قدم الشيخ الخديم من الغيبة البحرية أمره بالرجوع إلى بلده الأصلي فامتثل وبادر إلى بناء داره التي قرب دار المنان مع أخيه الشقيق الذي هو أسن إخوته، الشيخ عمر، ذي البصيرة النافذة، أحد حكماء عصره – رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبأمثاله – وقليل ما هم ومن دونهما في السن من إخوته وأتباعه. وأقام بها نيفاً وعشرين سنة. ثم انتقل بعد وفاة الشيخ عمر إلى غيدي، قرية من قرى طوبى المحروسة شماليه على مسافة نحو ميل. وحفر بئراً هناك ماؤها كثير. وحمى هناك أرضاً أريضة لأقاربه وأتباعه للتوطن والحراثة. جزاه الله عنا خيراً. وفي هذه السنين كلها لم يزل مشتغلاً بالإقرباء والتدريس إلى أن بلغ من الكبر عتيا. وأتاح الله له من ينوب عنه في ذلك، وإن لم يدرك الظالع شأو الضالع والوضيع قدر الرفيع.

وفي أواخر سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) سافر إلى الحجاز وحج بيت الله الحرام وزار بالمدينة المنورة خير الأنام ثم رجع. وكانت حرارة أرض الحجاز سرت في جسمه تتحرك فيه تارة وتسكن أخرى. وداويناه بما شاء الله تعالى من الأدوية المجربة أخذاً بالأسباب مع التوكل على رب الأرباب وبقي سنين سقيماً دنفاً ضئيل الجسم يزداد جسمه ضعفاً وعظمه وهنا إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى منتصف سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) عن أربع وثمانين سنة في "غيدي"، ودفن بها. وقبره هناك يزار – رحمه الله تعالى رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه.

ورثته شعراء وقته مراثي جلبها هنا يفضي إلى التطويل. هذا، ومفاخره لا تحصى وأخبار فضائله لا تستقصى. ولولا خيفة التطويل لأوردت هنا من أحواله ما يشفي الغليل. وكفى بالإشارة تنبيها للنبيل.

انتهى. والحمد لله جل وعلا بغير منتهى. وصلى الله تعالى وسلم على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وكل من لآثارهم اقتفى. حررت أوائل عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م). سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بقلم الشيخ محمد ابن الشيخ امباكي بوسو

رسالة في العقائد

(أمان البليد من خطر التقليد)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

اعلم – وفقك الله تعالى – أن أول واجب على المكلف – وهو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة إنسيا كان أو جنياً ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً – معرفة الله عز وجل. والمعرفة هي الجزم المطابق للواقع عن دليل. والمراد معرفة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ومعرفة ما يستحيل ومعرفة ما يجوز في حقه تعالى.

ويجب عليه أن يعرف معنى الإيمان والإسلام والإحسان. فالإيمان هو التصديق جزماً مع القبول لما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – مما علم من الدين بالضرورة. وهو ستة أقسام.

الأول الإيمان بالله تعالى. ويحصل بمعرفة الواجب له تعالى والمستحيل عليه والجائز عليه تعالى إجمالاً فيما لم نعلم وتفصيلاً فيما علم. فالواجب له تعالى تفصيلاً عشرون صفة. والمستحيل عليه إجمالاً كل نقص. والمستحيل عليه تفصيلاً عشرون صفة ضد العشرين الواجبة. والجائز على الله تعالى فعل كل ممكن أو تركه. فجملة المفصل إحدى وأربعون عقيدة. وهي كما ترى: الوجود واجب لله تعالى والعدم مستحيل عليه، والقدم واجب لله تعالى والحدوث مستحيل عليه، والمخالفة للحوادث واجبة لله تعالى والمماثلة للحوادث مستحيلة عليه، والقيام بالنفس واجب لله تعالى والافتقار إلى محل مخصص مستحيل عليه، والوحدانية واجبة لله تعالى والتعدد مستحيل عليه، والحياة واجبة لله تعالى والموت مستحيل عليه، والعلم واجب لله تعالى والجهل مستحيل عليه، والإرادة واجبة لله تعالى والكراهة مستحيلة عليه،

والقدرة واجبة لله تعالى والعجز مستحيل عليه، والسمع واجب لله تعالى والصمم مستحيل عليه، والبصر واجب لله تعالى والعمى مستحيل عليه، والكلام واجب لله والبكم مستحيل عليه.

وكونه حياً واجب لله تعالى وكونه ميتا مستحيل عليه، وكونه عالماً واجب لله تعالى وكونه جاهلاً مستحيل عليه، كونه مريداً واجب لله تعالى وكونه كارهاً مستحيل عليه، وكونه قادراً واجب لله وكونه عاجزاً مستحيل عليه، وكونه سميعاً واجب لله وكونه أصم مستحيل عليه، وكونه متكلماً واجب لله تعالى وكونه أبكم مستحيل عليه. فهذه إحدى وأربعون عقيدة. عشرون منها واجبة لا تقبل العدم وعشرون ضدها مستحيلة لا تقبل الثبوت. والدليل على كل صفة من الواجبات وجود الخلق إذ لو انتفت صفة منها ما وجد الخلق. وإذا ثبتت الواجبات بالخلق انتفت المستحيلات بالخلق أيضاً إذ ثبوت شئ من المحال عليه تعالى يؤدي إلى عدم وجود الخلق. وعدم الخلق محال بالمشاهدة والعيان.

وأما الجائز على الله ففعل كل ممكن أو تركه. والممكن ما صح عقلاً وجوده أو عدمه كوجود زيد وعدمه بدليل أن الممكن لو كان واجباً ما عدم ولو كان مستحيلاً ما وجد. فهذه إحدى وأربعون عقيدة من عرفها صار مؤمنا بالله تعالى.

الثاني الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وهو يحصل بمعرفة الواجب لهم والمستحيل والجائز في حقهم إجمالاً فيما لم نعلم وتفصيلا فيما علم. فالواجب إجمالاً أن نصدق بأن الله تعالى بعث أنبياء وأرسل رسلاً كلهم أهل كمال. ونؤمن تفصيلا بخمسة وعشرون منهم. وهم آدم وإدريس

ونوح وصالح ولوط وشعيب وذوالكفل وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكرياء ويحيى واليسع وإلياس ويونس وعيسى المسيح بن مريم المخلوق منها فقط آية للعالمين ومحمد خاتم النبيين - صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين. وما يتعلق بهم من الواجبات تفصيلاً أربعة. والمستحيلات عليهم ضدها كما ترى: الصدق واجب للرسل والكذب مستحيل عليهم، والأمانة واجبة للرسل والخيانة مستحيلة عليهم، والتبليغ واجب للرسل والكتمان مستحيل عليهم، والفطانة واجبة للرسل والبلادة مستحيلة لهم. والجائز على الرسل كل عرض بشري لا يؤدي إلى نقص كالأكل والشرب والمرض الخفيف للتشريع أو للتسلي عن الدنيا أو لتعظيم أجورهم. فهذه تسعة تضم للأولى تكون خمسين عقيدة.

وأما برهان صدقهم فالمعجزة التي أظهرها الله على أيديهم تصديقاً لهم حين ادعوا الرسالة. وبالصدق تثبت الأمانة والتبليغ. وبثبوتها تنتفي أضدادها. وبرهان الفطانة اختيارهم لهذا المنصب الشريف. وبه ينتفي ضدها. وبرهان جواز الأعراض البشرية عليهم وقوعها بهم لمن عاصرهم وعلمها بالتواتر لمن بعدهم. فيجب على كل مكلف أن يعرف ما يجب لهم من الصدق وما بعده ولا يسمع شيئاً ينافيه ويؤوّل ما ورد عنهم في كتاب أو حديث بأن ظاهره غير مراد وأن الخطاب معهم والمراد غيرهم إذ أفعالهم طاعة دائرة بين الواجب والمندوب. وإن كان من أكاذيب المؤرخين يرده.

وبالجملة فتعظيم الرسل وعصمتهم من مخالفة الحق أمر واجب. ومن تعقل لهم ذنبا كذنوبنا كفر. ويجب اعتقاد أن سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولد بمكة وجاءه الوحي بها بعد الأربعين. وكان

بها الإسراء من مسجدها الحرام إلى بيت المقدس وترقى منه فوق المعراج إكراماً له - صلى الله وسلم - وتشريفاً للعالم العلوي بجسمه الشريف ورآى ربه [1] مع التنزيه عن الجهة والمكان وسمات الحوادث، وأن الأنبياء كلهم أهل كمال وفضل. وهم أفضل الخلق وأفضل الأنبياء وآخرهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم، وأنه - صلى الله عليه وسلم - صادق أمين بلغ ما أنزل إليه من ربه تعالى بشهادة قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا.." فيجب علينا تصديقه في كل ما أخبر به عن ربه عز وجل.

الثالث الإيمان بالملائكة وهو التصديق بأنهم عباد مكرمون مخلوقون من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون: "يسبحون الليل والنهار وهم لا يفترون (الأنبياء، الآية ٢٠)" ليسوا ذكوراً ولا إناثاً. لا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى. لهم الكمال دائماً يعبدون الله على الدوام. (وهم) معصومون "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (التحريم، الآية ٦)". ويجب تفصيلاً معرفة عشرة منهم. وهم جبريل أمين الوحي وميكائيل أمين الرزق وإسرافيل أمين الصور وعزرائيل قابض الأرواح. ولكل عبد ملكان يسميان برقيب وعتيد يكتبان ما صدر منه من قول أو فعل أو اعتقاد. ومنكر ونكير موكلان بسؤال الموتى في قبورهم عن دينهم وإلههم ونبيهم، ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار. ويجب الإيمان بأعوان عزرائيل والحفظة الكتبة

---

[1] هذه مسألة وقع فيها خلاف كبير بين العلماء ورجح بعضهم أن الرؤية لا تقع إلا في الآخرة لقوه تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" وقوله (ص) بشأن الرؤية الدنيوية: "نُورٌ أنَّى أره"

وحملة العرش العظيم – صلى الله تعالى عليهم وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ونفعنا بهم آمين.

الرابع الإيمان بالكتب الإلهية إجمالاً فيما لم نعلم فنؤمن بما أنزل الله من كتاب ونؤمن تفصيلا بتوراة موسى وزبور داوود وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم وموسى. ونؤمن بالقرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ونؤمن بأن جميع الكتب منسوخة بالقرآن العظيم. فلا خلاص من عذاب الله إلا به، وهو الذكر الحكيم. فالواجب على أهل الأرض التمسك بالقرآن فقط لأن التمسك بغيره كفر وضلال. والحمد لله الكبير المتعال.

الخامس الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين، ونؤمن بأن كل شخص يموت بأجله ولو بهيمة وإن مقتولا. ونؤمن بأن الشهيد المقتول في سبيل الله حي يرزق من الجنة وأن كل ميت يشاهد قبل موته مكانه من الجنة أو من النار. ونؤمن بنعيم القبر للمؤمن المطيع وبعذاب القبر للكافر والمؤمن العاصي. لكن يجوز انقطاع العذاب عن المؤمن العاصي بعفو الله أو بدعاء أو صدقة. وأما الكافر فلا يخفف عنه العذاب ولا ينقطع بل دائماً في زيادة. قال تعالى: "فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا". ونؤمن ببعث كل ميت من قبره بعد جمع أجزائه ورد روحه إليه بنفخ إسرافيل في الصور ثانيا للأحياء؛ والأولى نفخة الصعق. وبينهما أربعون سنة. فيقوم كل امرئ على ما مات عليه من إيمان أو كفر أو طاعة أو عصيان. قال تعالى "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا". ويجب الإيمان بالحشر وهو سوقهم من القبر إلى محل الحساب في مراتب متفاوتة. فمنهم الراكب ومنهم الماشي على

رجليه ومنهم من يمشي على وجهه، وفي صور تشاكل أعمالهم؛ فمنهم من هو على صورة القردة وهم الزناة. ومنهم على صور الخنازير وهم آكلوا السحت والمكس ومنهم الأعمى وهو الجائر في الحكم. ومنهم الأصم الأبكم وهو الذي يعجب بعمله. ومهم من يمضغ لسانه مدلعا على صدره يسيل القيح من فمه. وهم الوعاظ الذين تخالف أقوالهم أفعالهم. ومنهم المقطوع الأيدي والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران. ومنهم من يصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس إلى السلطان. ومنهم من هو أشد نتنا من الجيف وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم. ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران لاصقة بجلده وهم أهل الكبر والعجب والخيلاء. ولا يقوم من قبره في صورة الإنسان ووجهه كالقمر ليلة البدر إلا المؤمن المتبع لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – : "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه (التحريم، الآية ٨)". بل كل الأنبياء والمؤمنين بهم كذلك – جعلنا الله تعالى مع نبينا – صلى الله عليه وسلم. ونؤمن بأن الصحف حق وأخذ المؤمن كتابه بيمينه حق وأخذ الكافر كتابه بشماله حق والحساب حق والميزان حق والصراط حق. ونؤمن بأن الجنة والنار حق وأنهما موجودتان الآن. والمؤمن يدخل الجنة بإيمانه ولا يخرج منها أبدا، والكافر يدخل النار بكفره ولا يخرج منها أبدا. ومن مات موحدا عاصيا غير تائب فهو في مشيئة الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه أو عذبه. وإن عذبه لا يخلد بل يخرج من النار بشفاعة نبينا أو غيره من الأخيار بعده أو برحمة أرحم الراحمين. ونؤمن بحوض نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم. ومن شرب منه لا يظمأ أبدا. وذلك أعلى من نعيم الجنة – منّ الله علينا بذلك مع أحبابه. إنه علي عظيم ودود كريم.

السادس الإيمان بالقدر. فنؤمن بأن كل شئ وجد أو عدم بقدرة الله تعالى وحده، إذ لا مؤثر معه. فهو الخالق لكل شئ كما أراد وعلم. وهو المنفرد بالاختراع. فكل شئ بقدرته عن إرادته وعلمه السابق القديم لكن يجب اعتقاد أن للعبد كسبا في فعله يكلف به لاختياره لفعله في ظاهر الحال، إذا الكسب مقارنة قدرة العبد الحادثة باختياره في ظاهر الحال عند إيجاد الله تعالى (للشئ) بقدرة الله القديمة: "والله خلقكم وما تعملون (الصّآفات، الآية ٩٦)". ولا يكون شئ إلا عن إرادة الله تعالى: "إن الله يفعل ما يريد". "وما تشآؤون إلا أن يشاء الله (الانسان، الآية، ٣٠)". ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلا تأثير لكسب العبد في فعله بل العبد وكسبه مخلوقان لله تعالى: "قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار (الرعد، الآية ١٦)". وكل الرزق من الله تعالى حلالاً كان أو مكروها أو حرما: "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (هود، الآية ٦)". فيرزق الله تعالى كل حيوان ولو من حرام. وإن عذبه عليه نظرا لكسبه فعدل. والله يحكم ما يريد: "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون". وقد رتب الله تعالى الثواب على كسب العبد الخير فضلاً منه تعالى كما رتب العذاب على كسب العبد الشر عدلا منه تعالى. فأمره دائر بين الفضل والعدل. ولا تأثير لسبب في مسبب. والله يوجد المسبب عند السبب عادة إن شاء؛ فلا تأثير للأكل في الشبع ولا للماء في الري ولا في الغرق ولا للسكين في القطع. وقد يوجد السبب وَيَتَخَلَّفُ المسبب لعدم إرادة الله كالنار التي ألقي فيها إبراهيم عليه السلام فلم تحرقه بل كانت عليه بردا وسلاما. وقد يخلق الله الشئ من غير سبب كعيسى عليه السلام. فإن الله تعالى خلقه من مريم فقط بلا أب آية للعالمين.

خـاتـمـة

ويجمع معاني ما تقدم شهادة الإسلام. إذ معنى "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله الغني عن كل شئ. وكل شئ مفتقر إليه. فباستغنائه تعالى عن كل شئ يجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والتنزه عن النقائص. ويدخل في ذلك وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام وكونه سميعاً وبصيراً ومتكلماً، إذ لو انتفت منها صفة لكان محتاجا. كيف وهو الغني عن كل شئ. وبوجودها تنتفي أضدادها. ويؤخذ منه أنه لا يجب عليه فعل شئ من الممكنات ولا تركه، إذ لو وجب عليه تعالى شئ لكان محتاجا إليه ليتكمل به إذ لا يجب في حقه إلا ما هو كمال له. كيف وهو جل وعز الغني عن كل شئ؟ وأما افتقار كل ما سواه إليه جل وعز فهو يوجب له تعالى الحياة وعموم القدرة والإرادة والعلم وكونه حيا وقادرا ومريدا وعالما. والوحدانية وبوجودها تنتفي أضدادها.

وقولنا "محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم. ويدخل فيه الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر، لأنه – صلى الله عليه وسلم – جاء بتصديق ذلك كله. ويؤخذ منه وجوب تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام والأمانة والتبليغ والفطانة، لأن الله تعالى اختارهم لهذا المنصب الشريف. وبوجوبها ينتفي ضدها. ويؤخذ منه جواز الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص بل لهم الكمال في جميع الأحوال.

فجملة ذلك خمسون عقيدة. ولا بد للمكلف من معرفة معناها الإجمالي بحيث يفهم من "لا إله إلا الله" أن الله إله واحد غني عن كل شئ. وجميع الخلق تحت قهره مفتقرون إليه ابتداءا ودواما. وهو المتصرف فيهم بالفضل

والعدل. ويفهم من "محمد رسول الله" أن سيدنا محمدا إنسان كامل الخلق مرسل لجميع الخلائق وأن من تبعه نجا ومن خالفه هلك. والإسلام المنجي هو الإنقياد التابع لتصديق القلب. فلا يؤمن حتى يكون قلبه ولسانه سواءا. وقواعده خمس: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا". والإحسان إتقان العمل. وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ويجب الإيمان بكرامات الأولياء كما يجب الإيمان بمعجزات الأنبياء. وليس للولي تأثير في كرامته كما أنه لا تأثير للنبي في معجزاته. فالله تعالى أوجد الكرامة على يد الولي، وهو المؤمن المتقي، إعلاما بإكرامه. كما أن المعجزة أوجدها الله على يد مدعي النبوة تصديقاً له لسماع كلامه. لكن منكر الكرامة فاسق ومنكر المعجزة كافر كمنكر الأولياء.

ويجب الإيمان بعلامات الساعة كنزول عيسى بن مريم عليه السلام يقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها. وعندها لا تقبل توبة كافر أسلم أو عاص تاب لقوله تعالى "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا.." وكذلك لا تقبل التوبة عند الغرغرة لقوله تعالى: "وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار (النساء، الآية ١٨)".

ويجب معرفة نسب النبي – صلى الله عليه وسلم. فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة

بن كعب بن غالب بن فهرة بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأما نسبه لأمه فهو سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب جده – صلى الله عليه وسلم.

وأولاده سبعة. وهم القاسم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وعبد الله وهو الملقب بالطيب والطاهر. كلهم من خديجة. والسابع إبراهيم من مارية القبطية. ومن أعمامه حمزة والعباس ابنا عبد المطلب – رضي الله تعالى عنهما.

وخير القرون الذين رأوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم الصحابة. وأفضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة. وهم عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيد عامر بن الجراح – رضي الله تعالى عنهم وعن سائر الصحابة أجمعين ثم الذين يلونهم. وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم تابعو التابعين. ويجب الإمساك عما شجر بينهم ولا يتكلم فيهم إلا بخير [1].

---

[1] العقيدة التي أوجزها الشيخ هنا تعتمد على مؤلفات السنوسي القائمة على أسس المذهب المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري والمنتشر منذ قرون في المدارس الأفريقية. والجدير بالذكر أن الأشعري كان قد أعلن تخليه عن مذهبه الأول ورضاه بما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الصحابة والتابعين وجمهور المتمسكين بمذهب السلف الصالح في العقيدة.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا. والحمد لله رب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

مجموعة

تشتمل على بعض أجوبة للحقير البصوبي - كان الله تعالى له وللمسلمين - وضعت هنا خوف الضياع، لا على نسق، بل كيف اتفق، لا على استيفاء، لكن حسب الوجود والإيفاء.

الشيخ محمد بوسو

أجوبة فقهية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله خيار الأنيم. أما بعد فهذه أجوبة مسائلك الثمانية نسأل الله تعالى لنا ولك العفو والعافية. أيها الأخ في الله وفي الشيخ الحبيب فيهما، السيد عمر لو – جعلنا الله وإياك ممن إليه سبحانه تبتلوا وبخير خلقه–صلى الله وسلم عليه – توسلوا ومن مشارب خديمه المرضى نهلوا وعللوا آمين–على أنني لست من أهل هذه الصناعة لقصور اليد وقلة البضاعة. لكن إذا فقد الحميم رُعي الهشيم.

أما قولك "الأول موضع انتقال صلاة الطفل إلى الكبير" هكذا بخط يمينك. فإن كان معناه ما لمبلغ الذي إذا وصل إليه الإنسان يدعى له بدعاء الكبير في الصلاة عليه دون دعاء الطفل بحسب ما أرشدته إليه حالتك ودلت عليه إشارتك وإن لم ترد هذا المعنى عبارتك، فاعلم أن هذا يعلم بمعرفة حد الطفولة وحد الكبر. فالطفل عند السادة الفقهاء يطلق على من دون البلوغ ذكرا كان أو أنثى وربما قيل للأنثى طفلة. والكبير عندهم من بلغ إلى منتهى عمره. والبلوغ قوة في الصغير يخرج بها من حالة الطفولية إلى حالة الرجولية والعقل. وعلامته الاحتلام أي الإنزال والدم والحمل أو السن وهو ثمان عشرة على المشهور. فكل مولود مات وقد حكم الشرع بالصلاة عليه فإنه يدعى له بدعاء الطفل ما لم يبلغ. وكل من بلغ كذلك فيدعى له بدعاء الكبير. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما قولك "الثاني جماعة يذكرون الله عند الميت" فلم تعين أي طور من أطوار الميت ولا جهرية الذكر من سرّيته. لكن إذا كان في حالة الاحتضار فالمطلوب إسماعه كلمة الشهادة. ففي الرسالة "ويلقن لا إله إلا الله عند الموت" يعني أن المحتضر يقول الجالس عنده بحيث يسمعه: "لاإله إلا الله محمد رسول الله" ليتذكرهما بعقله فيموت وهو معترف بهما في ضميره كما في الحديث الشريف "من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة" رواه أبو داوود والحاكم وقول صحيح الإسناد. وإن كان في حال نعشه فقد أسبغ الكلام عليه الفقيه الرهوني في التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة ألفه لما توفي والده – رحمهما الله رحمة واسعة. ورفع الحاملون لنعشه أصواتهم بالتهليل فأشار إليهم بعض الفضلاء بالسكوت وكثر القليل والقال. وقد جلب سائر النصوص التي وقف عليها في ذلك لمن تقدمه فطالعه إن شئت.

ومحصل الأمر أن السنة القديمة في اتباع الجنازة هو الصمت والتفكر والاعتبار وتحديث النفس بأمر الميت وما يرد عليه وهو مسئول عنه. حتى كان الرجل يلقى الرجل من إخوانه في الجنازة وعسى أن يكون غائباً فما يزيد على التسليم. يعرض عنه اشتغالا بما هو فيه من التفكر في أحوال القبر وسئواله وشدائده وأهواله. وهذا هو المنقول عن السلف الصالح – نفعنا الله بهم. ثم صار الجهر بالذكر عند حمل الجنازة عمل الناس. ذلك أن المتأخرين لما علموا أن الماشين مع الجنازة لا يتركون اللغو وإنما يشتغلون بأحوال الدنيا (رأوا) أولى أن يشغلوا ألسنتهم بقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ففي أجوبة المعيار الجديد عن الشيخ أبي القاسم، هل يذكرون الله جهرا أم لا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون على النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يذكرون بالجهر. وعلى جوازه، فهل فيه فائدة للميت

أم لا؟ إلخ ما نص محل الحاجة منه "ذكر الله مطلوب على كل حال وينتفع الذاكر المخلص بذكر الله لا محالة. ولا خلاف أن الميت ينتفع بدعاء من دعا له. وذلك كله محمود" إلى أن قال: "ولما توفي الإمام الفقيه الأستاذ بركة المتأخرين بن شيخنا سيدي محمد بن غازي العثماني - رحمه الله - أخرج جنازته من حضر حملها للقبور بذكر مجهور. وكان أوصى به فيما بلغنا ولم أستحضره الآن. وإن كان الحاملون يقولون: "يا كريم، يا قدير اغفر للميت الذليل الحقير بجاه سيدنا محمد النبي النذير" ونحو ذلك فأرجو نفعه. ثم قال جامعه سيدي المهدي الوزاني - حفظه الله - "العمل في مشارق الأرض ومغاربها على حمل الجنازة بالذكر الجهري. وهو الصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياب". وما به العمل مقدم على غيره وإن كان مشهوراً كما هو معلوم. ولتقرير العمل صار اليوم تركه مع الجنازة قد كاد يكون محظوراً. والله أعلم.

وأما قولك "الثالث أخذ الأجرة على الإمامة في الجنازة" فإن كان المعنى هل يجوز لإمام صلاة الجنازة أن يأخذ أجراً على صلاتها أم لا ؟ فالجواب - والله الموفق للصواب - أن الشيخ الفقيه العارف سيدي أحمد الدرديري - نفعنا الله العليم الخبير به - قال في شرحه الكبير على المختصر عند قول المتن: "ولا متعين كركعتي الفجر بخلاف الكفاية" ما نصه: "كغسل الميت أو حمله فيصح الاستيجار عليه ما لم يتعين بخلاف صلاة الجنازة فلا يجوز الاستيجار عليها مطلقا". قال محشيه الشيخ الدسوقي - رحمه الله - قوله: "فلا يجوز الاستيجار عليها" أي لتمحضها للعبادة. وأما الغسل والحمل للميت فإنها لما شاركت في الصورة أشياء كثيرة غيرها لم تتمخض بصورتها للعبادة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما قولك "الرابع إرث الولد على أبيه ما لم ينفعه شيئاً في حياته". فإن كان معناه هل يرث الولد الذي لم ينفع أباه مدة حياة والد المذكور إذا مات عنه أو لا ؟ فالجواب – والله الموفق للصواب – اعلم أن الميراث يثبت بثبوت أركانه الثلاثة وارث ومورث وشئ موروث وبأسبابه الأربعة: القرابة المخصوصة والولاء وبيت المال والنكاح ويتوفر شروطه الثلاثة: تقدم موت المورث واستقرار حياة الوارث بعده والعلم بالجهة المقتضية للإرث وبانتفاء موانعه السبعة المرموز لها بقول بعضهم "عش لك رزق" أي عدم الاستهلاك والشك واللعان والكفر والرق والزنى والقتل. وليست النفقة في شئ من هذه فلا تعتبر. والله أعلم.

وأما قولك "الخامس جمع ولد وزوجة من رجل مات". فإن كان معناه هل يجوز للرجل أن يجمع في عصمته ابنة آخر ومن كانت زوجة له فالجواب نعم يجوز له ذلك. وهذه إحدى المسائل الثلاث التي جمعها في البيت المتداول الإمام الأجهوري – رحمه الله – وهو:

وجمع مرأة وأم البعل أو بنته أو رقها ذو حل

ولا مفهوم لقولك "مات" لأنه لا فرق بين موت الرجل عنها وبين بينونتها منه وهو حي ولا بين تقدم البنت أو بين تأخرها في عصمة الرجل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما قولك "السادس إنكاح أم الولد على صاحب الأربع" فإن كان معناه هل يعقد إنسان عنده أربه حرائر على أم ولد؟ فاعلم أن الإنسان لا يعقد على أم ولده لأنها ملكه بل لا يضره تعدد أمهات الأولاد عنده مع الأربع الحرائر فما

دونها. وإن كان المراد أم ولد لغيره فهذه ليست أم ولد بالنسبة لـه إذ لا تكون الأمة أم ولد لرجلين فليست تحل لآخر إلا إذا زوجها له سيدها أو تزوجها بعد عتقه لها أو موته عنها. وهي في الصور كلها زوجة لا تكون لمن عنده أربع حرائر إلا خامسة. وهي لا تنعقد كما مر في علمكم. والله أعلم بالصواب.

وأما قولك "السابع غسل الصغيرة من غير ذي المحرم". فاعلم أن غسل الرجل الصبية له ثلاث أحوال: الجواز اتفاقا والمنع اتفاقا والمختلف فيه. فالأول إذا كانت رضيعة لم تبلغ ثلاث سنين. والثاني إذا كانت تشتهي كبنت ست سنين. والثالث إذا كانت بين هاتين. والمعتمد المنع. وأما كون الرجل في الأحوال كلها محرماً أو أجنبياً فقد نقل الشيخ أبو الحسن في شرح الرسالة عن ابن عمر – رحمهما الله تعالى – عند قول المتن "ولا يغسل الرجال الصبية" ما لفظه "ظاهر ما ذكر المصنف عام في المحرم وغيره. وهذا قول. وقيل هذا في الأجانب. وأما المحرم فيجوز له غسلها" الخ. قال محشيه الإمام العدوي – رحمه الله – "وهذا القول ظاهر خليل. ومن شرحه اعتماد هذا القول". والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما قولك "الثامن أكل طعام السوق وما ذبح الكافر" فقد حط عنا مؤنته أخونا في الله الفقيه الصوفي المشارك في الفنون، السيد عبد القادر بن محمد الكمليلي – حفظه الله تعالى ومتعنا به – فإنه قبل أن أكتب شيئاً في هذا المحل كتب فيه ما لفظه: "وأما الجواب عن سؤالك الثامن وهو في الحقيقة سؤالان أولهما السؤال عن أكل طعام السوق وهذا مجمل. فإن أردت بأكل طعام السوق أكل الطعام في الأسواق فالجواب أنه قدح في أهل المروؤة حيث وجدوا عنه مندوحة فهو وإن كان في الأصل حلالا. لكن من حيث أنه يقدح

في المروؤة ويكون جرحة ينبغي تركه محافظة على صفة العدالة. وإن كان مرادك أنه هل يجوز اشتراء الطعام في السوق أو أخذه منه بدون اشتراء فلا بأس بذلك بل هو من فعل السلف الصالح. وهو دليل على عدم الكبر والتكلف. ثاني السؤالين المتضمن لهما هذا السؤال الثامن من قولك: "وما ذبح الكافر" والجواب عنه أن الكفار قسمان: أهل كتاب وهم اليهود والنصارى ومجوس. وهم غير هذين من الكفار. أما المجوسي فلا تؤكل ذبيحته إلا أن يذكر اسم الله عليها. وأما أهل الكتاب فيجوز أكل ذبائحهم لقوله تعالى: "وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم" والمقصود بالطعام هنا الذبائح بشرط أن لا يذبح باسم الصنم ونحوه وأن يذبح ما هو حرام عليه بشرعنا كذوات الظفر. وإنما كره أكل الشحم فقط وإن كان حراما عليه لأنه جزء مذكي. والمذكي حل له. ولا يشترط إتيانه بالتسمية عند التزكية. وقوله "ما هو حرام عليه بشرعنا" معناه أنه ذكر في كتابنا أنه حرام عليه في شريعته التي نسخها شرعنا مع أنه هو يستلزمها. وأما شرعنا فمن استلزمه لا يحرم عليه شئ من ذلك سواء كان منا أو منهم. وقد ذكر العلامة أبو عبد الله كنون في اختصاره لحاشية الرهوني أن نصارى اليوم ويهوده صاروا مجوساً. وقد نقل لنا مثل ذلك عن العلامة محمد ال بن متالي في النصارى. وقد ذكر العلامة الولي العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن زيني دحلان في كتابه الفتوحات الإسلامية ما معناه أن نصارى اليوم لا سيما الفرنسيين من الذين بجوارنا عيسيون، جلهم إما كاتوليك أو بروتستانت وإن فيهم طائفة قليلة دهرية. وهي تتستر بذلك وتظهر أنها مسيحية. وكذلك ذكر مثل ذلك إسماعيل على المصري في

نخبته. هذا وإن علم بهم فعلي قوليهما تكون ذبائح النصاري لا بأس بها تغليباً للغالب منهم على النادر [1] إذ النادر لا حكم له.

فقلت وبانتهائه انتهت الأجوبة على مسائلك الثمان. أصلح الله تعالى منا ومنك السر والعلانية. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

بقلم أفقر الفقراء وأحقر كل من يرى امباكي البصوبي - كان الله تعالى وللمسلمين. (كتب) عام واحد وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة (١٩١٣م) جعله الله من الأعمال المقبولة ولا يحرمنا أجره.

الحمد لله وبعد فقد طالعت ما أجاب به الشيخ الإمام العلامة المتقن البارع في الفنون كلها، بركة العصر وعلامة القطر، سيدي محمد بن الشيخ العلامة محمد البصوبي في هذه المسائل العسرة تصورا فإذا هو قد حاز من الفقه الصحيح والفهم الصريح ما لا مزيد عليه. فقد أصاب من المسائل الكلي والمفاصل. فأبقاه الله تعالى لهذا القطر السعيد نوراً يستضاء به في ظلمات دياجي الجهلات. قاله العبد الداعي الحقير عبد القادر بن محمد الكمليلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وأمته. فالسلام عليك والتحية والإكرام. إليك أيها الأخ الأديب والمريد الذائق اللبيب. فاعلم

---

[1] الغالب عليهم اليوم الإلحاد بسبب التربية العلمانية التي لا مكان للدين فيها. ولذلك لا يذكرون الله عند قتل بهائمهم. فلعل ذكر آكل طعامهم الله كاف لأنهم ليسوا شرا من المجوس.

أنه وردت أسئلتك إلى وعظم وقعها لدي. أما قولك أردت أن تبين لي ما الحق فيمن خاصم زوجته وتضاربا ثم طلقها ثلاثا في وقت غضبه، أيقضى بذلك عليه أم لا؟

فالجواب – والله الموفق للصواب – الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. فاعلم أن طلاق الغضبان ينفذ على المعول عليه ولا يلتفت إلى ما يتناقله بعض الجهلة. قال سيدي التسولي عند قول عاصم – رحمه الله تعالى:

هب أنها في كلمة قد جمعت أوطلقة من بعد أخرى وقعت

وظاهر قوله "في كلمة" أوقعها في حال الغضب والمنازعة أم لا. ولا ينوي في ذلك ولو مستفتيا. وهو كذلك. قال ابن العربي في أحكامه الصغرى عند قوله تعالى: "والذين يظهرون منكم من نسائهم.." الآية ولا يسقط الغضب ظهارا ولا طلاقا بل يلزمان الغضبان. إذ في حديث خولة. "كان بيني وبين زوجتي شئ" وهذا يدل على نزاع أزعجه فظَاهَر. وقال ابن عرقة عن ابن رشد: "يمين الغاضب لا زمة اتفاقا". ثم قال: "وما وقع في شرح التلقين" ثم ذكره إلى أن قال: "كل ذلك لا يصح ولا يعول عليه". وقد أغلظ المسناوي – رحمه الله – على من نقل ذلك ولبّس على المسلمين. وقال إن ذلك من الافتراء على الأئمة المعتبرين المعروفين بالتحقيق. قال: "فالواجب تعزيز من عمل بذلك أو ركن إليه أو أفتى به إن لم يعذر بالجهل" ثم قال: "وقد كثر السؤال عن ذلك في هذه الأزمنة وقبلها. وينسب السائل ذلك لكتاب التقريب والتبيين في شرح التلقين إلى أن قال: "وهذا لا يصح بحال، ولا أظن ذلك يصدر من عالم يعتد بعلمه. وهذا الشرح مجهول النسبة عندي فلم أدر صاحبه

من هو. فلا ينبغي أن يعتمد على ما فيه مما يخالف الجادة. والله أعلم". ثم قال أيضاً عن قول الناظم: "وينفذ الطلاق من سكران" البيت تنبيه: فهم من قوله "سكران" أن الغضبان يلزمه طلاقه بالأحرى لأنه مكلف بالصلاة ونحوها إجماعا ومخاطب بأداء ذلك حال غضبه بخلاف السكران". والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم.

وأما قولك: "وفي المعترض أجله يوم الدخول أو من يوم رفع المرأة أمرها إلى الحاكم" فالجواب – والله الموفق للصواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. فاعلم أن أجل المعترض من يوم الحكم لا من يوم الرفع، لأنه قد يتقدم على الحكم وأحرى يوم الدخول. قال في المختصر: "وأجل المعترض سنة بعد الصحة من يوم الحكم". قلت هذا إذا ترافعا للحاكم. وأما إن لم يترافعا وتراضيا على ذلك فمن يوم التراضي على ضربه. نقله العدوي في حاشية الخرشي عن بهرام. وقد قبلوه. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وشرف وكرم.

وأما قولك "وفيمن وطأ أمته ثم باع ولدها الذي من غيره قبل استبراء الأم أيجوز أم لا؟ فالجواب – والله الموفق للصواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. فاعلم أن هذا الولد الذي يمكن أن يباع قبل استبراء أمه من وطئ سيدها لا بد أن يكون ولد الأمة قبل هذا الوطء الذي تستبرأ أمته. وإذن فليس بولد أم الولد الذي يكون بمنزلتها. وأما قول الرسالة: "وولد أم الولد من غير السيد قبل صيرورتها أم ولد فرقيق" فانظر شارحها أبا الحسن وغيره.

والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وكرم.

وأما قولك "وفيمن يصلي مع الإمام وحده أيقوم حذوه أو دونه أو خلفه؟" فالجواب – والله الموفق للصواب: الحمد لله والصلاة على رسول الله. فاعلم أنه إنما يقوم الذكر عن يمين الإمام ندبا. وندب أن يتأخر عنه قليلاً بحيث يتميز عن إمامه. وأما محاذاته فمكروهة. قال الشيخ العدوي في حاشيته على الخرشي عند قول الشيخ خليل مشبها على المندوبات "كوقوف ذكر عن يمينه". ويندب تأخره قليلاً. وتكره المحاذاة. ومثله في حاشيته على الكفاية. وقال الشيخ الدردير في أقرب المسالك مع شرحه عاطفا على المندوبات: "ووقوف ذكر ولو صبيا عقل القربة عن يمينه أي الإمام. وندب تأخره قليلاً ليتميز المأموم عن الإمام". والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وكرم.

وأما قولك في المحراب "أيجوز للإمام أن يتنفل فيه أم لا؟" فالجواب – والله الموفق للصواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. فاعلم أن تنفل الإمام بمحرابه مكروه. قال الشيخ خليل عاطفا على المكروهات: "وتنفله بمحرابه". قال العدوي في حاشيته على الخرشي نقلا عن الشبرخيتي: "أي محراب الإمام أي موضع الصلاة كان في مسجد أو غيره في حضر أو في سفر". وفي المجموع عاطفا على المكروهات أيضاً "وتنفل الإمام بالمحراب". وكذا نص عليه في أقرب المسالك ثم قال في بلغة السالك: "لأنه لا يستحقه إلا حال كونه إماما ولأنه قد يوهم غيره أنه فرض فيقتدى به". ومثله في الخرشي وغيره. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا

ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وكرم. انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه على يد أفقر الفقراء وأحقر كل من يرى امباكي بن محمد البصوبي طالباً ممن وقف على خطأ من هذه الكتابة من الإخوان أرباب هذا الشأن أن يصلحه أو ينبه عليه. فإن الحق ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن ولاه. هذا، وقد وقفت على هذه الأجوبة التي أجاب بها أخونا في الله تعالى الشيخ الإمام العلامة الدراكة الفهامة، صوفي الزمان وفقيه العصر والأوان، سيدنا محمد بن الشيخ الفرد في زمانه المسلم له من أقرانه محمد البصوبي فإذا هي في غاية التحقيق والإتقان فائضة من بحور العلم والعرفان سالبة الألباب بتحقيقاتها جامعة عذوبة الألفاظ وجزالة المعنى وإحكام الأصول والفروع إليها مع انضباط المباني. فجزاه الله تعالى خيرا ووقانا وإياه مكروها وضيرا آمين.

بقلم الفقير الداعي عبد القادر بن محمد الكمليلي، محب العلم الشريف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد فقد وقفت على السؤال ونظرت في المقال وأتيت بما أراني الله من الجواب. وهو سبحانه وتعالى الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

أما قولك: "إن كانت الحرة المطلقة في ثالثتها أي القروء أو الأمة في قرئيها ومضى عن الحرة قرآن وعن الأمة قرء واحد ثم تزويجتا قبل إتمام ما عليهما أو اشتريت الأمة ووطئها المشتري بعد القرء الأول ووطئ الحرة زوجها بعد القرئين، فكيف النكاح؟" وقد ذكرت حرة وأمة طلقتا وتزوجتا قبل تمام عدتهما فوطئتا ثم أمة معتدة أيضاً ووطئها مشتريها قبل تمام عدتها. أما النكاح فباطل فيهما اتفاقا لأن هذا قد ارتكب محرمات ثلاثا: أولها التصريح بخطبة المعتدة ثم العقد عليها فيها ثم الوطء. وكل عقد على معتدة بنوعيها من وفاة أو طلاق بائن من غيره أو على مستبرأة بأنواعها الخمسة من شبهة النكاح والملك وشبهته والزنا والغصب فعقده حرام يجب فسخه. قال في المختصر عاطفا على المحرمات: "وصريح خطبة معتدة" وفي المجموع "وفسخ إن عقد فيها". قال محشيه: "أي بغير طلاق لأنه مجمع على فساده، وإن وطئها مستندا على هذا العقد الفاسد. وإن كان الوطء بعد تمام العدة أو الاستبراء المعقود فيهما تأبد تحريمها عليه". قال: "وتأبد تحريمها بوطء وإن بشبهة ولو بعدها". ومثلهما الأمة الموطوءة بملك وهي معتدة من نكاح لأن الوطء المستند للملك أو لشبهته إذا طرأ على نكاح أو شبهته فإنه يحرم". قال: "أو بملك كعكسه". ولو كانت المشتراة محبوسة من غير نكاح بل من ملك

فوطء المشتري لا يحرمها عليه ولو كان حراما في نفسه لقوله عاطفا على النفي أو بملك عن ملك". وإنما قلت فقد ذكرت إلخ لأن المعتدة بالأشهر معتدة ولو بقي لها يوم واحد وبالأقراء كذلك ما بقي لها قرء. ولا عبرة بمضي قرء أو قرئين لأن الجميع للاستبراء لا الأول فقط على الأرجح. أنظر متن المختصر. وإنما تحلان بغروب آخر يوم من الأشهر برؤية دم أول الحيضة الثالثة عند ابن القاسم. واستحب أشهب أن لا يعجل النكاح برؤية أولها حتى يمضي لها يوم أو جله. وإلى هذا يشير المختصر بقوله: "وهل ينبغي أن لا تعجل برؤيته؟ تأويلان".

وأما قولك: "وهل يفسخ بحال واحد أم لا..؟" فاعلم أن القاعدة كل نكاح فسخ بعد الدخول سواء كان متفقا على فساده أو مختلفا فيه ففيه المسمى من الصداق. قال في المختصر: "وما فسخ بعده فالمسمى". وأما الحد فإن كان تزوجها عالما بالتحريم حد ولا يلحق به الولد لأنه زان. وإن كان غير عالم بالتحريم كما إذا استند لقول مفت يعتقد صدقه فلا حد عليه ويلحق به الولد.

وأما قولك "من استبرأها زوجها من وطئه بحيضة ثم زنت وظهر بها حمل ومات زوجها أو طلقها أفيلحق الولد بالزوج أو بمن زنى بها. فاعلم أولا أن الزنى لا يلحق أبدا. وإنما يقال هو ولد الزنا مثلا. ثم ثانيا أن فائدة ذكر هذه الصورة في الصور التي صورناها فيما كتبناه لك أنها مستثناة من قولهم عدة الحامل في وفاة أو طلاق وضع حملها كله لأن هذه المذكورة لو وضعت قبل مضي أربعة أشهر وعشر من موت زوجها أو مضي ثلاثة قروء من طلاقه لا تحل بالوضع بل تنتظر انقضاء الأربعة الأشهر وعشر وانقضاء الأقراء كما في تداخل العدد لأن ولدها ليس لصاحب العدة لكونه استبرأها قبل

رؤية الزنا بحيضة. قال في المختصر: "إلا أن يدعي الاستبراء". وهذا ظاهر إذا كان بين استبرائه ووضعها ستة أشهر فأكثر. فإن كان أقل فإنه يحمل على أنه موجود في بطنها حال الاستبراء. والحامل قد تحيض فلا ينتفي عنه إلا باللعان. والله أعلم.

وأما قولكم: "رجل مات عن زوجة لها ابنتان منه أو بنات ولم يك لها ابن وكان للزوج شقيقتان. وهل تنفرد الزوجة وبنتاها بالإرث دون الشقيقتين مع فقد الابن أم لا؟" فالجواب لا تنفرد لأن البنات لا يحجبن من الإخوة إلا الإخوة لأم. وقولكم "ولم يك لها ابن". لعل صوابه "له" كما يرشد إليه آخر العبارة لأن فقد الابن المعتبر هنا إنما هو بالنسبة للزوج الميت، لأن الزوجة قد يمكن أن يكون لها ابن من غيره ولا يعتبر. فالحاصل أن المسألة من أربعة وعشرين لاجتماع الثلثين والثمن. فللزوجة ثمنها ثلاثة وللبنتين أو البنات ثلثاها ستة عشر. وما بقي خمسة للشقيقين. ولا يخفى عليك تصحيحها. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وقفت على هذه الأجوبة الكريمة الصادرة من حضرة فضيلة أخينا الشيخ محمد البصوبي - حفظه الله تعالى - فإذا هي جارية على حسب ما عهدته منه قبلا من التحرير وترك التطويل والتكثير. وزاده الله تعالى للإسلام في عمره وبارك في زيده وعمره.

فقير ربه تعالى عبد القادر الكمليلي أصلح الله تعالى حاله آمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد فقد وقفنا على النازلة الطويلة فتصورناها فإذا هي طارئة لا طويرية.

أما قولكم: "عُقد النكاح في العدة ووجد بعد العقد في بقية العدة قبلة ومباشرة بلا وطء". فالجواب أنه يتأبد تحريمها عليه باجتماع العقد ومقدمات الوطء فيها لأن المقدمات في العدة إن استندت لعقد فهي كالوطء فيها. وإنما تخالف الوطء إذا حصلت بعد العدة المعقود فيها لأنها إذا لا تأبد. والوطء المستند لعقد في العدة يؤيد ولو وقع بعد انقضاء العدة. قال في المختصر: "وتأبد تحريمها بوطء وإن بشبهة ولو بعدها وبمقدمته فيها". فإذا تقرر هذا فلا حاجة إلى ما أطيل به في السؤال.

وأما قولكم: "والخلاف قول صاحب الرسالة وكذلك الذي يتزوج المرأة في عدتها ويطأها في عدتها". إلى قولكم: "ورده صاحب المختصر لأن السكوت عن الشئ لا يعد قولا حتى يرد به على الساكت". وغاية ما يقال في مثل هذا أنه تكلم على بعض المسألة دون بعضها. وذلك لا يستغرب في المقدمات من الكتب. ولهذا يقول شراحه تتميماً للمسألة: "قوله: ويطأها في عدتها" أي ولو بعدها وعقد فيها". وكذلك لا تحرم بمقدمات الوطء فيها. وبعضهم يقول: ظاهره أنه لو عقد في العدة ودخل بعدها لا تحرم. والمشهور تأبيد الحرمة. وظاهره أيضاً أن القبلة ونحوها إذا وقعت في العدة لا تحرم. وليس كذلك لقول المختصر: "وبمقدمته فيها" ونحو هذا الكلام. ولا يقال إنه نفي التأبيد إذا كان الوطء بعد العدة المعقود فيها ولأن المقدمات المستندة لعقد في العدة لا تؤبد لأن ذلك خروج عن معتمد المالكية. وإنما رد صاحب المختصر بقوله:

"ولو بعدها" على المغيرة الذي يقول إن الوطء بالنكاح أو بشبهته لا يحرم إلا إذا كان في العدة لا إن كان بعدها. لكن قيل:

وليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر

جعلنا الله وإياكم من الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وكتبه الحقير البصوبي أواخر الربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة خير البرية، عليه أزكى الصلاة وأتم التحية (ديسمبر ١٩١٩م).

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده وآله وصحبه وجنده. وبعد فقد وقفت على هذا الجواب المستطار الذي شفى الغليل وملأ الأوطاب الصادر من فيوض بحور علوم شيخنا العلامة وأخينا المحقق الفهامة السيد الفاضل العالم العامل سيدي محمد البصوبي – حفظه الله تعالى – فإذا هو جار فيه على عادته القديمة من سلوك الطريقة المستقيمة وتحقيق الرسائل وإصابة الكلي والمفاصل. فجزاه الله تعالى كل خير ووقاه كل مكروه وضير.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

فقير ربه تعالى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الأمين الكمليلي لطف الله تعالى به آمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد فإن كانت صورة المسألتين هكذا:

الأولى عن هالك عن أختين شقيقتين وأخت لأب وابن أخ شقيق والثانية عن ابنتين وأخت لأب وابن أخ شقيق.

فالجواب – والله أعلم بالصواب – أن الأخت لأب لا تسقط في الأولى. وفي الثانية يسقط ابن الأخ الشقيق. وبيان ذلك في الأولى أن الأخت لأب تسقط مع شقيقين مطلقا ومع شقيقتين فأكثر ما لم تعصب بأن يكون لها أخ أو ابن عم مساو لها. قال في المجموع: "وحجب أخوات للأب شقيق كشقيقتين إلا أن يعصبهن أخ فقط" أي لأب لابن أخ؛ فلا يعصب عماته لأنه لا يساويهن في الدرجة ولا أخواته من بنات الأخ لأنهن لايرثن بل يأخذ ما بقي دون عماته. قال:

وليس ابن الأخ بالمعصب من مثله أو فوقه في النسب

فلو كان مكان ابن الأخ الشقيق والده سقطت الأخت للأب به وبشقيقته فيناصف المال شقيقته أو عمه غير الشقيق عصب الأخت للأب. فما بقي بعد أخذ الشقيقتين ثلثيهما له فيه مثل حظيهما. ومن هنا يلغز فيقال: أي امرأة ترث مع الأقرب للميت وتحرم مع الأبعد؟" فيجاب بهذه. وبيانه في الثانية أن الأخوات الأشقاء أو لأب عصبات مع البنات يأخذن ما فضل من فروضهن. قال:

والأخوات قد يصرن عصبات إن كان للهالك بنت أو بنات

وقال في الرسالة: "والأخوات مع البنات كالعصبة لهن يرثن ما فضل عنهن ولا يفرض لهن معهن أي يأخذن ما بقي بالتعصيب. فالحاصل أن المسألة الأولى تصح من ثلاثة مخرج الثلثين لكل واحدة من الشقيقتين واحد ولا شئ للأخت للأب لحجبها بالشقيقتين بل ما بقي وهو ثلث التركة لابن الأخ شقيقاً أو غيره. والثانية تصح من ثلاثة لكل واحدة من البنتين واحد وما بقي وهو ثلث التركة للأخت للأب دون ابن الأخ لأنه عاصب بنفسه وقد فني المال. ووجه ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم قال: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأَولَى رجل ذكر" وفي رواية: "فلأولَى عصبة ذكر". وابن الأخ أولى رجل في المسألة الأولى وقد حصلت بقية. وفي الثانية لا بقية إذا الأخت شقيقة أو لأب من أهل السهام أصالة. ولا تكون عصبة إلا بالغير كالأخ أو مع الغير كالبنت أو بنت الابن فهي مع الأخ للذكر مثل حظ الانثيين ومع البنت تأخذ ما بقي بعد فروض البنت. وهو النصف أو البنتين وهو الثلث تعصيباً. فلا يبقى شئ. ولا شئ للعاصب بنفسه إذا لم يبق شئ عن ذوي الفروض.

وكتبه الحقير البصوبي صبيحة يوم الجمعة أواسط ثانية الجمادين عام ثمانية وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة (مارس ١٩٢٠م) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد فقد وقفنا على سؤالكم المصور بقولكم: "امرأة تزوجها رجل وأتت منه بولد وفارقته ثم

تزوجها آخر بعد الأول وأتت منه ببنت، هل يسوغ لولد الأول من غيرها أن يتزوج ببنتها من الثاني. وهل ذكروا للبن الأول مدة لا ينقطع انقطاعا تاماً دونها؟

أما جواب الأول – والله تعالى الموفق وهو حسبنا ونعم المولى – فنعم قولا واحدا، إذا انقطع لبن الأول قبل وطء الثاني. وأما إذا لم ينقطع حتى وطء الثاني فالراجح المنع. قال سيدي أبو الحسن شارح الرسالة عند قولها: "وله أن يتزوج بنت امرأة أبيه من رجل غيره" هذا ما صح إذا كانت البنت معها قبل التزويج وانفصلت من الرضاع. أما إذا تزوجها وهي ترضعها أو طلقها الأب ثم تزوجت بعده برجل وأولدها بنتا فهل لابن الزوج الأول أن يتزوج هذه البنت أم لا؟ في ذلك ثلاثة أقوال: الجواز واستظهر، والمنع والكراهة احتياطا". قال محشيه الإمام العدوي – رضي الله تعالى عن الجميع وأرضاهم: "قوله ثلاثة أقوال موضوعها أن لبن الأول لم ينقطع. وقوله "واستظهر" ضعيف. وقوله "والمنع" وهو الراجح. وهو الذي ذهب إليه خليل. ولذا اقتصر التتائي عليه معللا بقوله "لأن اللبن لهما" فتدبر. وإنما قلنا قبل وطء الثاني لأن مجرد العقد لا عبرة به هنا. فلو عقد رجل على مرضعة واتفق أنه لم يطأها حتى فطمت ولدها كانت بمنزلة من تزوج بها بعد انفصال ولدها من الرضاع. والله أعلم.

وأما جواب الثانية – والله الموفق في السر والعلانية – فلا. لم يذكروا لانقطاع اللبن مدة محدودة بل المدار على الانقطاع التام بكا لولادة بطول الزمن. قال في المختصر: "من وطئ لانقطاعه وإن بعد سنين" يريد كثيرة كما في الشراح. قال الخرشي – رحمه الله – في هذا المحل: "ولو استمر

IRCICA LIBRARY
IRCICA
İSTANBUL 1980

اللبن ولو تتزوج فمضاف للأول ولو تعددت السنون من غير حد كما في المدونة". وقال الدسوقي – رحمه الله – هنا ما محل الحاجة منه: "إذا انقطع عقب المفارقة بل وإن استمر اللبن بعد المفارقة سنين. فإذا طلقها وتمادى بها اللبن لخمس سنين أو أكثر وأرضعت ولو كان ذلك الرضيع ابنا لذلك الرجل". وكتب الشيخ حجازي على قول الأمين – رحمهما الله تعالى رحمة واسعة – في مجموعه. وهو قوله "حتى ينقطع.." ما لفظه "ولو بعد أعوام". ثم قال بعد كلام: "وإنما ينقطع بالولادة". والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الحقير البصوبي بيده الفانية يوم الثلاثاء منتصف شوال المبارك عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦/٨/١٣م) كان الله تعالى له وللمسلمين بمنه آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وسلم تسليما. أما بعد فإلى الأخ الصالح والحبيب الناصح "دمبا كاه" سلام تام مع رد جواب في الختام موجبه أن تعلم بأن أخاك محمد كاه أتاني بكتاب من عندك ففككته فإذا فيه سؤلان أحدهما سؤالك عن أمر دود يخرج من الإنس والآخر سؤالك عن جعل ظرف الزرع صداقا لزوجة كما هو العادة في أرضنا.

فنقول – ومن الله نطلب الصواب والقبول – أما الجواب في الأول فاعلم أن الدود لا ينقض الوضوء إن كان متخلفا في البطن سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء خرج وعليه بلة أم لا، وسواء كانت البلة قليلة أو كثيرة. لكن

البلة الكثيرة وإن كانت لا تنقض الوضوء يجب الاستنجاء منها. وإن كان في صلاة فيقطعها. وبهذا يلغز فيقال لنا شئ خرج من المخرج المعتاد فأوجب الاستنجاء وقطع الصلاة ولم ينقض الوضوء. وقد نظم ذلك الشيخ الأمير بقوله من البسيط:

قل للفقيه ولا تخجلك هيبته شئ من المخرج المعتاد قد عرضا
فأوجب القطع واستنجى المصلي له لكن به الطهر يامولاي ما انقطعا

فأجابه الشيخ السفتي رحمة الله عليهما بقوله:

حمدا لربي وشكرا والصلاة على محمد من لجيش الكفر قد فرضا
جواب هذا الحصا والدود إن خرجا مع بلة كثرت قد زال ما غمضا

ثم إنه يعفى عما خرج مع الحصا والدود إن كان مستحكما بأن يحصل له كل يوم مرة فأكثر وإلا فلا بد من غسله حيث كثر وإلا عفي عنه أي بحسب محله لا بحسب إصابته للصواب. ومحل كون الوضوء صحيحاً في المسألة السابقة ما لم تكثر الفضلة جدا. أما إن كثرت جدا حتى صار يقال له عرفا إنه قضى الحاجة فإن الوضوء ينتقض قطعا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجب على المكلفين أن لا يرتكبوا أمرا من أمور الدين حتى يعلموا حكم الله فيه بغلبة الظن أو اليقين. فقال سبحانه وتعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم (الإسراء، الآية ٣٦)". وذلك إما بالنظر في الأدلة

لمن أمكنه إدراكها أو في كتب العلم لمن كان أهلا لذلك أو بسؤال أهل العلم لمن قال في حقهم: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (الأنبياء،الآية ٧)". وأهل الذكر أهل العلم بدين الله وأحكامه من الحديث والفقه. ولا يسأل منهم إلا من يوثق بدينه. فإن التعويل على كل أحد في ذلك تلاعب بالدين. ثم لا يأخذ فعلاً أو تركا إلا بما يفتون. والصلاة والسلام والإجلال والإكرام على سيدنا ومولانا محمد النبي الوجيه القائل في حديثه الشريف النزيه: "لا يحل لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه". والقائل أيضاً: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [1]. فالبياع مثلا يجب أن يتعلم أحكام البيع والآجر أحكام الإجارة والمقارض أحكام القراض والمتزوج أحكام النكاح وهكذا. صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف ومجد وكرم وعلى آله الطيبين وصحابته المجتهدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فاعلم أيها الولد الروحي الشآب المتأدب التقي أني رأيت برواتك الدالة على علو همتك وحسن طويتك والشاهدة لك بقابليتك لما رشحت له وبمزيتك. نسأله سبحانه وتعالى أن لا يخيب رجاءنا فيك ويخصك بما تسمو به على كثير ممن يجاريك. وقد طلبت منا أن نكتب لك ورقات تتضمن ما ينهض همة مطالعه إلى تعليم الولدان ويزيده نشاطا فيه وينفي عنه الكسل وما عسى أن يعتريه من الملل، وما ينبغي أن يتجنبه معلم القرآن من الآفات التي تحرمه الانتفاع في المراد وتصده عن السداد.

فالجواب – نور الله بصيرتنا وبصيرتك وطهر سريرتنا وسريرتك – أن الذي ينهض الهمم إلى تعليم الولدان وينشط فيه وينفي الكسل عنه هو معرفة

---

[1] رواه ابن ماجه

حكمه وفضله وفائدته وأن الآفات التي تحرم الانتفاع به هي عدم التخلق بالأخلاق التي ينبغي للمعلم أن يتخلق بها أو ارتكاب ما ينبغي له أن يجتنبه. وسنأتيك – إن شاء الله تعالى – في كل بما تقر به عينك ويقر به أينك. فالله تبارك وتعالى يرعانا ويرعاك ويتولى هدانا وهداك.

أما حكم تعليم الولدان فهو الوجوب بالنسبة للعقائد السنية والأحكام الشرعية أو الفاتحة من القرآن العظيم، والسنة أو الندب لما زاد عليها منه ومن بعض العلوم الدينية. وأما فضل التعليم فبحسب المعلم فيه. وفضل القرآن العظيم أظهر من شمس الضحى وما ورد فيه من الأحاديث أكثر عدداً من الحصا. قال في الدرر اللوامع.

وقد أتت في فضله آثار ليست تفي بجملها أسفار

فمما ورد فيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "القرآن أفضل من كل شئ دون الله. وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على خلقه. فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحق الله. وحرمة القرآن عند الله كحرمة الولد على والده". ومنه عنه – صلى الله عليه وسلم – : "القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم" (رواه الترمذي) ومنه: "من لم يشتف بالقرآن لا شفاء له". ومنه: "إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد" قيل: "يارسول الله وما جلاؤها؟" قال: "قراءة القرآن وذكر الموت". ومنه: "القرآن غني لا فقر معه ولا غنى دونه". ومنه: "أفضل عبادة أمتي قراة القرآن".ومنه: "عرضت علي أجور أمتي حتى الأذى يخرجها الإنسان من المسجد. فلم أر خيراً أعظم من قراءة القرآن وعرضت

علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من آية أو سورة أوتيها الرجل فنسيها". ومنه: "القرآن شافع مشفع أو ما حل مصدق؛ من شفع له القرآن يوم القيامة نجا. ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله في النار على وجهه".

وأما فائدة تعلمه وتعليمه فلا يعلم القرآن إلا المسلم البالغ العاقل الثقة المأمون الضابط الخالي من الفسق ومسقطات المروؤة. فقد ورد فيها من الأحاديث ما لا يحصى أيضاً. منه ما روي عن سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أنه قال: "قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (رواه البخاري). وفي رواية: "أفضلكم من تعلم القرآن وأقرأه". وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي [1] التابعي الجليل يقول حين يروي هذا الحديث: "هو الذي أقعدني مقعدي هذا. يشير إلى كونه جالسا في المسجد الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرؤه مع جلالة قدره وكثرة علمه وحاجة الناس إلى علمه. وقد أقرأ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة. وعليه قرأ سيدنا الحسن وسيدنا الحسين – رضي الله تعالى عن الجميع وأرضاهم. ومنه عن سيدنا علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه ورضي عنه. قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا علي، تعلم القرآن وعلمه الناس؛ فلك بكل حرف عشر حسنات. فإن مت مت شهيداً. يا علي، تعلم القرآن وعلمه الناس. فإن مُتَّ حجت الملائكة إلى قبرك كحج الناس إلى بيت الله العتيق". ومنه عن سيدنا أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول

---

[1] قوله أبو عبد الرحمن.. إلخ عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي المقرئ روي عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وطائفة. وعنه إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وعلقمة بن مرثد وعاصم ابن بعولة(؟) أقرأ القرآن أي أربعين سنة وكان ثقة. قال صمت رمضان ثمانين سنة. وتوفي عن عمر بلغ خمسا وثمانين.

الله – صلى الله عليه وسلم –: " يا أبا هريرة، تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزل كذلك حتى يأتيك الموت. فإن أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة إلى قبرك كما يحج المؤمنون إلى بيت الله الحرام". ومنه "من أعطى القرآن وظن أن أحداً أعطي أكثر منه فقد استصغر ما عظمه الله وعظم ما صغره الله". ومنه "اشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل". ومنه يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: "يارب (من) حللت فيه لبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده فليلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب فليلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه. فيقال له: "اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة". ومنه: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها". ومنه: "من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار". ومنه "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة" (ورد ما يؤكده في الصحيحين). ومنه: "إن لله أهلي من الناس. قيل ومن يا رسول الله؟ قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته". ومنه "تعلموا القرآن فأقرءوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا تفوح ريحه على كل مكان. ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك". ومنه: "من علم ولده آية من القرآن كان له خيرها". وفي رواية "كان له أجرها حيثما تليت وكتبت له براءة من النار". وكذا المؤدب الذي علمه إياها. ومن علم ولده حتى يكتب بيده فقد أدى ما وجب عليه وتستغفر له الملائكة حتى يموت ويستغفر للمؤدب كل شئ طلعت عليه الشمس حتى الحيتان في البحر". ومنه خير الناس وخير من يمشي على وجه الأرض المعلمون لكتاب الله فإنهم كلما خلق الدين جددوه. أعطوهم ولا تشآحوهم. فإن المعلم إذا قال للصبي قل "بسم

الله الرحمن الرحيم" فقالها كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار". ومنه: "ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهما الحساب. وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ الناس من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما هم به رضوان وداع يدعو إلى الصلاة ابتغاء وجه الله وعبدا أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه". ومنه أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله أي يرد العذاب الواقع بإرادة الله تعالى عن آبائهم أو عمن تسبب في تعليمهم أو عن معلمهم أو عنهم فيما يستقبل أو عن المجموع أو عن جميع الخلق. وعن سيدنا معاذ بن جبل – رضي الله عنه: "إذا أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور والري يوم العطش والوزن يوم الخفة والهدى يوم الضلال فادرس القرآن فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان". وعن الإمام النخعي – رضي الله عنه: "معلم الصبيان تستغفر له الملائكة في السماوات والدوآب في الأرض والطير في الهواء والحيتان في البحار". وعنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال في حجة الوداع: "اللهم اغفر للمعلمين وأطل أعمارهم وبارك في كسبهم ومعاشهم" وقال: "أللهم اغفر للمعلمين وأطل أعمارهم وأظلهم تحت ظلك فإنهم يعلمون كتابك".

وأما الأخلاق التي ينبغي للمقرئ أن يتخلق بها فهي الأخلاق الحميدة المرضية من الزهد في الدنيا والتقلل منها وعدم المبالاة بها وبأهلها والسخاء والحلم والصبر ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع مُتَنَزِّهاً عن أسباب الفسوق ومسقطات المروءة كما تقدم.

ويجب عليه قبل كل شئ أن يخلص النية لله تعالى ولا يقصد بذلك غرضا من أغراض الدنيا كمعلوم يأخذه أو ثناء يلحقه من الناس أو منزلة تحصل له عندهم. ففي الخبر أن الله عز وجل خلق جنات عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي. فقالت: "قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل أو مراء". وفيه أيضاً "من عمل من هذه الأعمال شيئاً يريد بها غرضا من الدنيا لم يشم عرف الجنة. وعرفها يوجد على مسيرة خمسمائة عام. فإن كان لها شئ يأخذه على ذلك فلا يأخذه بنية الإجارة بل بنية الإستعانة على ما هو بصدده. ويقول مع المعرفة: "أنا عبد الله أخدمه وآكل وأشرب وألبس من رزقه. وخدمتي له حق. ورزقه لي محض فضل منه. وإذا كانت هذه نيته فلا يتضجر ولا يترك القراءة لقطع المعلوم. فإن قطعها لقطعة فهو دليل على فساد نيته. وهذا يجري في كل من يأخذ شيئا على وظيفة شرعية كالإمام والمدرس والمؤذن وحارس الثغور. وينبغي له تحسين هيئته. وليحذر من الملابس المنهي عنها ومما لا يليق بأمثاله. فقد نقل عن سيدنا عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس يختالون. وعن سيدنا الفضيل بن عياض – رضي الله عنه – أنه قال: "حامل القرآن راية الإسلام. لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا أن يسهو مع من يسهر ولا أن يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن. ويجلس غير متكأ مستقبل القبلة متطهرا طهارة كاملة خصوصاً إذا كان معلما للصبيان لأنه يحتاج إلى مس المصحف والألواح. وينبغي له أن يزيل نتن إبطه أو ماله رائحة كريهة بما أمكن له ويمس من الطيب ما يقدر

عليه ولا يعبث بلحيته ولا بغيرها. وليحفظ بصره من الالتفات إلا لحاجة. وليكن متدبراً في معاني القرآن ساكن الأطراف إلا اذا احتاج إلى إشارة للقارئ فيضرب به الأرض ضرباً خفيفاً أو يشير بيده أو برأسه ليفطن القارئ لما فاته ويصبر عليه حتى يتفكر. فإن تذكر وإلا أخبره بما ترك قاصداً بجيمع ذلك إجلال القرآن وتعظيمه. وليتجنب الضحك والحديث الأجنبي في خلال القراءة إلا ما يضطر إليه والنظر إلى ما يلهي. وليحذر كل الحذر من الرياء والحسد والحقد والغيبة واحتقار غيره وإن كان دونه والعجب. وقل من يسلم منه. ويجوز الإقراء في الطريق ماشياً أو راكباً لاناعساً محافظة من الغلط. فإن رأى في بعض أصحابه شيئاً يكرهه نهاه عنه مع إظهار الشفقة عليه والرفق به. فهو أقرب للقبول وأعظم أجراً عند الله. وإن كان صبياً رفق به. ففي الحديث: "شرار معلمي صبيانكم أقلهم رحمة".

فلا يضربهم لغضبه فقط بل للصلاة أو للوح (؟) أو للكذب أو للشتم أو الهروب من المكتب أو لعقوق الوالدين أو مخالطة أقران السوء ونحو ذلك ضرباً متوسطاً فوق الظهر على الثوب أو على باطن القدمين مجردين بسوط رطب لين عريض إلا إذا كان لا ينزجر إلا بالضرب الشديد. ومن يمتثل بلا شتم ولا ضرب فلا يشتم ولا يضرب.

ويسرح الصبيان يوم الخميس ويوم الجمعة إحياء لسنة سيدنا عمر بن الخطاب – رضي تعالى عنه. وكذلك أيام الأعياد. ويلازمون في ما سوى ذلك ليلاً ونهاراً مقدرا الطاقة.

وفي هذا القدر لمن تدبر كفاية. ونسأل الله تبارك وتعالى لنا ولك الهداية. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. وصلى الله

تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه وخيار الأنيم.

وقد تم تسويده بقلم الفقير البصوبي أواخر شعبان المكرم عام سبعة وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحية (مايو ١٩١٩م).

طرق معرفة القبلة
بخصوص كل قطر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه خيار الأنيم.

أما بعد فيقول أفقر الفقراء وأحقر كل من يرى محمد بن محمد البصوبي – كان الله تعالى له وللمسلمين بالنبي الأمي – صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم. إنه طلب مني بعض الفضلاء، من الأصدقاء النبلاء بعد مباحثة لطيفة ومذاكرة ظريفة في شأن القبلة وكيفية الاستدلال عليها لأهل هذا القطر السنغالي وما قاربه الذي غلب على أهله الجهل وتلاشى من بينهم أهل العلم والفضل فلا تكاد ترى مجلساً حافلاً يتفق من ضمهم على قبلة ولا مساجد قرى متقاربة على محراب واحد كأنهم لو يتحدوا في ملة. بل إما متيامن مفرط أو متشائم مفرط. وإذا بحثت على معتمد أكثرهم فلا تقع إلا على ظلمات بعضها فوق بعض. بل ربما يسقط بك البحث إن تماديت على سرحان ضار، إن سلمت أولا من أظافره بالنبش فلا تسلم ثانيا من أنيابه بالعض، أن أكتب في ذلك حروفاً يسيرة تحوي منافع كثيرة ينتفع بها اللبيب المنصف ويبهت بها الخصم المعنف لمس الحاجة إلى ذلك في خصوص هذا المحل المذكور الذي هو بأنواع متعددة من الجمل مغمور إذ قَلَّ فيمن بلغنا من شمر عن ساعد الجد من علمائه المتقدمين والمتأخرين وكتب في ذلك وأفاد أو ألف فأجاد. بل أكثرهم إنما يستدلون بدلائل ظفروا بها في مؤلفات لبعض العلماء من أقطار لا مناسبة بينها وبينه في شئ من الأعراض ولا في الأطوال ولا في الأوقات ولا في الأحوال. فاستعظمت ذلك واستصغرت نفسي عما هنالك. وإن رأيت مضمون مطلوبه متعينا ووجدت تأكيد مرغوبه واضحاً بينا علما

مني أن غيري لذلك أولى لقلة الاطلاع وقصر الباع. ولما أيست من الإقالة بأية حيلة أو حالة، على المولى، توكلت وشرعت مسترجعا فقلت اعلم – وفقنا الله تعالى وإياك – أنه لا يخفى عليك اتفاق المسلمين من المجتهدين والمقلدين على أن التوجه نحو القبلة شرط من شروط صحة الصلاة لقوله تعالى: "فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره". وعلى أنه إذا أبصر البيت فالفرض عندهم التوجه إلى عين البيت لأن القدرة على اليقين تمنع الاجتهاد المعرض للخطأ. وإنما اختلافهم فيما وراء ذلك. وقد تكفل لتفاصيل ذلك كتب الفقه فلا نطيل به. على أن الفقهاء أي المالكية – عليهم الرضوان – نوعوا القبلة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة، سميت بذلك لأن المصلي يقابلها وتقابله، إلى أقسام هي: قبلة تحقيق وهي قبلة الوحي كقبلته – عليه الصلاة والسلام – حيث حضرته الصلاة لأنها بوضع جبريل – عليه السلام. وقبلة عيان وهي عين الكعبة أي ذاتها وهي قبلة من تمكنه المسامتة أي مقابلة سمتها أي ذات بنائها ممن بمكة المشرفة وما في حكمها كمن في جبل أبي قبيس أو في مساجد مكة التي حولها كمسجد ذي طوى. وقبلة استتار وهي قبلة من غاب عن البيت من أهل مكة أو عن مسجده – عليه الصلاة والسلام – من أهل المدينة المنورة، والفرض أنه في مكة أو المدينة. وقبلة إجماع وهي قبلة جامع عمرو بن العاص – رضي الله عنه – بالفسطاس بإجماع الصحابة – عليهم الرضوان – إذ وقف عليه ثمانون منهم. وإنما ذكرناه تبعاً للجماعة وإن تكلم في ذلك بعضهم. ومثله في ذلك جامع القيروان بأفريقية وجامع بني أمية بدمشق الشام. وقبلة بدل وهي صوب سفر قصر لتنقل راكب دابة. وقبلة تخيير لجهة من الجهات الأربع وهي قبلة المجتهد الذي خفيت عليه الأدلة لغيم أو حبس أو نحو ذلك أو التبست عليه. وقبلة من

لا يمكنه الاجتهاد لجهله بالأدلة ولم يجد عارفا ولا محرابا. وقبلة تقليد عارف عادل أو مطلق محراب. وهي قبلة هذا الأخير إن وجد من ذكر. وقبلة إجتهاد وهي قبلة من أمكنه الاجتهاد ولم يكن في الحرمين الشريفين ولا في جامع عمرو كأهل الآفاق أو في حرم مكة ولكن تمكنه المسامتة كأهل مني. وهذه محل الكلام ومناخ ركب المرام لما علمت من أن كل من أمكنه الاجتهاد وصلى بغير اجتهاد لم تجز صلاته وان وقعت إلى القبلة. وتندرج هذه الأقسام كلها تحت كلام المختصر إما بصريح عبارة أو بأوضح إشارة لأن قوله: "ومع الأمن استقبال عين الكعبة لمن بِمَكَّة" صريح في قبلتي العيان والاستتار لأن المراد في "من بمكّة" كل من تمكنه المسامتة ولو بالطلوع على السطوح أو بالاستدلال على الذات بالعلامات اليقينية بحيث يتيقن هو أنه لو أزيل الحجاب لكان مسامتاً لها بجميع بدنه ولا يخرج منه ولو عضواً. وقوله: "وإلا" أي يكن بمكة يريد ولا بالمدينة ولا بجامع الفسطاط بل بغيرها. فلو كان في واحد من الأخيرين لكانت قبلته إما تحقيقاً أو إجماعاً لا جهة كما علمت. وتصريحه بالباقي ظاهر. والله أعلم. ثم اعلم أيضاً أن سبب هذا الاختلاف المذكور ومنشأ ذلك النزاع فيما نرى – والله أعلم – أن اسم المغرب بالنسبة لجزيرة العرب إذا أطلق يصدق على جميع ما دار عليه المحيط الغربي المعبر عنه عند الأجانب بالأتلانتيك الذي يأخذ من المحيط الشمالي إلى المحيط الجنوبي ويشقه خط الاستواء قرب طرفه الجنوبي مشرقاً إلى ناحية الهند إلى المحيط الشرقي. وهذا بر متسع جدا يضم أجناساً مختلفة من المسلمين ممن توطن شمالي خط الاستواء قريباً أو بعيداً أو جنوبيه كذلك. والكعبة المشرفة التي يجب على كل مسلم حيث كان أن يتوجه إلى ناحيتها في مركز واحد ولا تنتقل. فلا بد أن يكون من هؤلاء من تكون مكة المشرفة

على نقطة مشرقهم كمن في ناحية أدرار وما قاربها تقريباً لا تحقيقاً ومن هي في الشرق الجنوبي منهم كمن في شمالي هؤلاء بعيداً منهم من السوس إلى مراكش وفاس والأندلس وما ولا ها ومن تكون شرقي شمالهم كمن في ناحية السودان إلى الجنوب وكل من كان من هؤلاء أبعد كان ميله أكثر وبالعكس إذ من المعلوم أن مكة شمالي خط الاستواء في الدرجة الثانية والعشرين على معتمد العماء المعتبرين. فإذا استدل إنسان من أهل قطرنا هذا مثلا الذي في بضعة عشر درجة من خط الاستواء للعرض الشمالي كما يأتي بدلائل الإمام الباجوري مثلا الذي كان بطرابلس الغرب وموقعة في نيف وثلاثين درجة للعرض المذكور أيضاً أو بدلائل علماء فاس أو مراكش أو من يقرب منهم كذلك تبين أن كتفه الأيسر أميل إلى الكعبة المشرفة من وجهه بما لا يعلم مقداره إلا الله تبارك وتعالى. وهو جل من قائل يقول في كتابه العزيز: "فول وجهك شطر المسجد الحرام" (سورة البقرة الآية ١٤٤). فإذا قال عالم: دليل أهل المغرب كذا" ولم يعين فإنما يحمل على خصوص قطره ويظن الغبي أنه إذا كان مغربياً أخذ دليل عالم مغربي ايا كان تبرأ ذمته. وليس كذلك لما علمت من تفاوت البلدان التي يصدق عليها اسم المغرب. بل الذي ينبغي لعلماء كل قطر أن يجتهدوا لخصوص قطرهم ولو تقريبا في المتوجه نحوها بالدلائل المقررة في الشرع الشريف الدالة على الجهة كالفجر والشفق والشمس والقمر والنجوم من القطب وغيره من الكواكب الطالعة والغاربة على سمت الكعبة وكالرياح الشرقية أو الجنوبية أو الشمالية أو الغربية. والكلام على كيفية الاستدلال بهذه الأدلة طويلة الذيل. وإنما نقتصر على أيسر ضابط وجدناه وأشمل دليل رأيناه. وهو أن يراقب الإنسان أين كان في أقطار المغرب مطلع الشمس في أحد اليومين اللذين تكون الشمس فيهما قبيل الزوال

مسامتة لرؤوس أهل مكة المكرمة فينعدم الظل فيهما حينئذ انعداماً كليا. أولهما رابع عشر الجوزاء الذي هو الثاني والعشرون من مايو. هذا ما قاله غير واحد في مسامتة مكة المكرمة. ثم لما من الله علينا بالحج عام ومسش (١٣٤٦هـ/١٩٢٨م) سألت معول أهلها في ذلك الزمان المؤقت الشيخ خليفة النبهاني فقال لي: "إن الشمس تسامتنا ثامن الجوزاء". ولعل أهل مكة أدرى بشعابها. قلت ولا بعد، لأن ما بين اليومين خمسة أيام فقط. وثامن الجوزاء رابع أو سادس عشر مايو. وثانيهما سابع عشر السرطان الذي هو التاسع والعشرون من يونيو أو أول يوم من يوليو يقف على سمت مكة. إن شاء الله تعالى.

وبيان ذلك أن كل بلدة تكون الشمس عن يمينه تارة وعن يساره أخرى. فإنها تسامته كل عام مرتين في يومين متوازيين ينعدم الظل عنده فيهما بالكلية يوم قبل الميل الأعظم الشمالي الواقع في آخر الجوزاء ويم قبل الميل الأعظم الجنوبي الواقع في آخر برج القوس. وكل بلد يكون موقعه في نقطة أحد الميلين الأعظمين المذكورين فإنما تسامته الشمس كل عام آخر يوم الجوزاء وكالبلاد الجنوبية الواقعة في نقطة الميل الأعظم الجنوبي. وكل بلد خرج عن هذين المدارين يمينا أو شمالا فلا تسامته الشمس أبدا ولا ينعدم الظل عنده أصلا بل تكون الشمس دائماً إما في جنوبه كمصر وفاس ومراكش وما جرى مجراهما وإما في شماله كذلك كأقصى البلاد الجنوبية. وإلى بعض ما ذكرنا يرشد قول الخطاب – رحمه الله تعالى – بعد كلام: "واعلم أن المسامتة الحقيقية إنما تكون في يوم واحد في السنة أو في يومين كما ذكرناه ولكن ما قارب يوم المسامتة قبله أو بعده مما لا يظهر فيه للظل وجود محسوس فحكمه حكم يوم المسامتة". وأسهل الطرق أيضاً لمعرفة هذه

المسامتة هي المراقبة. وقد وقفنا نحن بتوفيق الكريم المتفضل لمراقبة هذه المسامتة في وطننا دار المنان المحروسة فوجدنا الأولى منها التي تكون للميل الشمالي التي تقع عاشر برج الثور وهو بعد منتصف إبريل بيوم. والثانية التي للميل الجنوبي تقع يوم الحادي والعشرين من برج الأسد وهو يوم الثلاثين من يوليو. وفي غده آخر يوم منه يظهر الظل لنا جهة الشمالي ولا يزال فيها زائداً أو ناقصاً إلى سابع عشر إبريل. ثم يظهر لنا جهة الجنوب في غده كذلك إلى يوم المذكور من يوليو. ولا ينعدم عندنا بالكلية إلا في اليومين المذكورين. فنرى – والله أعلم – أن موقع وطننا المذكور في الدرجة الخامسة عشر للعرض الشمالي. والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

استطـــراد

كل ما ذكرناه للقبلة من حكمها ومن تعين اعتبار اختلاف الأمكنة فيها يجري لأوقات الصلاة المفروضة أيضاً لاستوائها في ذلك. ولا يكتفون بضابط لقطر آخر يباينه، لأن الضوابط أيضاً تختلف باختلاف الأمكنة. وكل من وضع من العلماء حروفا لمعرفة زوال الشمس في الأشهر العجمية بالأقدام فإنما يعني بذلك خصوص محله أيضاً وما حاذاه وما قاربه لا مطلقا. ولهذا قال الخطاب – رحمه الله: "فلا يصح الاعتماد على الأقدام التي ذكرها أبو مفزع للزوال إلا في بلاد مراكش وما كان مثلها في العرض أو قريبا منها على مسافة يومين أو قريباً من ذلك. والأقدام التي ذكرها أبو مفزع – رحمه الله – بعد أبيات وضبطه في نصف بيت شعر:"ظنه جبا ابدا وحي فادر" ووضع بعضهم حروف "بحبه جبا أبد وحي" وبعضهم: "ظره جباً بجد وحط" وبعضهم "دج الجده" وبين الألفين خمسة أشهر بلا ظل. وجعل كل واحد منهم الحرف الأول من الرموز ليلين ثم على ترتيب الشهور إلى آخرها

الذي هو دجنبر إلا أن الأخير منهم عد بين الألفين خمسة أشهر بلا ظل مبدوة من نصف مارس لنصف أغسطس. ففي منظومة لشيخنا – رضي الله تعالى عنه:

وبين ذين خمسة قد خمست بنصف مارس وغشت عريت

قلت وهذا الأخير أقرب الموضوعات إلى قطرنا هذا. وإن الكل على وجه التقريب لا التحقيق. ففي الميسر، قال بعض أقليميينا:

دج أو خمسة بلا ظل تلا ما أج ده واجعل ينير أول

ثم قال: "وهذا تقريب. والأصح أن ذلك إنما يعرف بقصد عدد معتدل بمحل مستوى". ومثله أو أقرب منه إلينا قول الحرضي – رحمه الله تعالى:

أربعة دجبا وبعض قدم وأربع لا ظل فها ينتمي
بجده للتقليب في باقي الشهور ضابطها بذا مدى الدهر يدور
في أرضنا وقصرنا دار السلام أمنها خالقنا البر السلام

ومما ينبغي أن ينتبه له هنا أن نحو قولهم "خمسة بلا ظل" إنما يعنون به ظلا ينقاس بالأقدام لا الانعدام الكلي لأنه لا يمكن إلا بالمسامتة الحقيقية. وهي لا تكون في كل سنة إلا في يوم أو يومين لخصوص بلاد كما تقدم. وإنما قلنا أن الضابط الأخير أقرب الضوابط لقطرنا هذا لأنا وجدنا بتوفيق الله تبارك وتعالى بعد مراقبة متكررة في سنين متعددة أن ظل كل إنسان متوسط ماهر في كيفية الانتصاب لا يبلغ من أقدامه خمساً كوامل في وطننا المتقدم في شهر

من الشهور العجمية بل وجدناه في تاسع دجنبر الذي هو انتهاء طول الظل في الميل الأعظم الجنوبي أربع أقدام وشئ فويق ثلثي قدم ودوين ثلاثة أرباع قدم. ووجدنا قولهم أن مبدأ الخمسة بلا ظل من نصف مارس إلى نصف أغسطس لا يوافق هذا الحل أيضاً بل لا تزال القدم تامة منتصف مارس ثم يتناقص الظل عنها تدريجياً حتى ينعدم بالكلية بعد انتصاف إبريل بيوم كما قدمنا ثم يتحول في غده إلى جنوبينا ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى تبلغ زيادته في تلك الجهة منتهاها آخر يوم من الجوزاء وهو ثامن يونيو. ولا يبلغ في هذه الزيادة قدم إنسان تامة. وإنما يقرب منها فقط ثم يأخذ في النقصان قليلاً قليلاً حتى ينعدم بالكلية أيضاً يوم الحادي والعشرين من الأسد. وهو يوم الثلاثين من يوليو كما ذكرنا. ثم يتحول في غده إلى الشمال فيأخذ في الزيادة ولا يبلغ قدما تامة إلا أول يوم من سبتمبر فيكون فيه قدما واحدة ولا نقصان منتصف أوكتوبر ثم رابعا إلى اللتي للإبهام (؟) أو يوم من نوفمبر وبلا زيادة ولا نقصان ثامنه حتى تنتهي زيادته إلى ما ذكرنا تاسع ديسمبر ثم يأخذ في النقصان حتى يصير أربعاً بلا زيادة ولا نقصان أو الدلو تاسع يناير ثم ثلاثا بلا زيادة ولا نقصان أول فبراير ثم قدمين كذلك في الحادي والعشرين منه ثم واحدة بلا زيادة ولا نقصان منتصف مارس إلى أن ينتهي نقصانه إلى ما ذكرنا بعد منتصف إبريل. والله تعالى أعلم. وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الحمد لله القديم الباقي بلا زوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الأزوال. أما بعد فقد اطلعت على ما ألفه وجمعه وصنفه أخونا المحقق العلامة المدقق سيدي امباكي البصوبي من معرفة أمثاله مطلوبي ومرغوبي وقليل ما هم كثير من سواهم في علم استقبال القبلة المحمدية لأهل الأقطار السنغالية مع تحقيق زوالها أي تحقيق وتدقيق أمره كل تدقيق. فإذا هو في غاية الصدق والصواب. قد قام مؤلفه على أهل هذا القطر بكثير من الأتعاب حتى سهل لهم ما يعينهم على أداء الصلوات في سائر الخلوات والجلوات. وفيه قلت:

للشيخ امباكي كتاب في المواقيت يانعمه من كتاب كالمواقيت
لأهل سنغال أبدى الشيح قبلتهم ووقت الظهر فيه أي توقيت
الشيخ امباكي إمام العصر يذكرني في العلم خير فتى من آل أقيت

كتبه عبد ربه القادر بن محمد بن عبد القادر بن الأمين الكمليلي
لطف الله تعالى به وبأحبته آمين.

مسائل من علم الفلك

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه خيار الأنيم. أما بعد فسلام عليك وتحية وإكرام إليك يا أخي في الله وفي الشيخ سيدي أحمد بن اسمه (؟) الديماني – كان الله تعالى لنا ولك وللمسلمين بالنبي العدناي – صلى الله عليه وسلم ومجد وشرف وكرم وإعلام بأني وقفت على مكتوبكم الكريم ورأيت مضمونه الدال على الهمة العالية من قلب سليم إلا أنه طار بنا الاستغراب إلى منتهاه والاندهاش إلى اقصاه من توجه سؤال أيا كان من أمثالكم إلى مثل هذا المسكين الضعيف القاصر. وقد كان الأولى العكس إذ من المشارق لا من المغارب تستطلع الشمس. ولستم ممن يستسمنون ذاورم وينفخون في غير ضرم، غير أن قولكم "هل رأيتم كتاباً يتكلم في كذا..؟" جرأني على الإقدام من التصميم على الإحجام إذا الكتب لا تستكمل والناقل عنها ما لم يزد أو ينقص لا يستجهل. ومن ذلك بياضا دنساً وعلى فيض الكريم المنان عولنا.

أما قولكم: "إني أسألكم عن الحق الذي لا شك معه في تعيين رأس الحمل..." فاعلم – رعانا الله وإياك – أني كنت فيما مضى كتبت كتابة في هذا المعنى وإلى الآن لم أخرجها لعدم الفراغ من تحريرها وعيست إن لم يبادر المحتوم واستونى تفضلا بالقريب المكتوم أن تراها. ولعلها إن لم تنعش الحق تسد له الرمق – إن شاء الله تعالى.

وأما قولكم: "هل وجدتم كتابا في استخراج أطوال البلاد. فإن استخراج أعراضها يمكن باستخراج الجدي عند ما يقابله أنور الفرقدين شرقاً وغرباً".

فاعلم – نور الله تعالى بصيرتنا وبصيرتك – أن الأطوال ليست كالأعراض في كيفية الاستخراج وإن شاركتها مفادا، إذ فائدة هذه معرفة أبعاد البلدان شمالا أو جنوباً من مبدإ واحد. وهو خط الاستواء الذي يقسم الأرض على بعدين متساويين إلى القطب الشمالي وإلى القطب الجنوبي كما في علمكم الكريم. وتلك تفيد معرفتها أيضاً لكن شرقا وغربا. وليس لها مبدأ معين لا ينخرم عنه. بل كل محل صالح لأهله أن يعتبروه مبدءا لهم إلى الشرق أو إلى الغرب. فلذلك ترى كل دولة من الدول الأخيرة المتمدنة تعتبر خط زوال خاص بها وتختاره مبدأ لهم كالمصريين المتقدمين الذين كانوا يعتبرون خط الزوال مارا بهرم الجيزة الأكبر مبدأ لخطوط الأطوال واختار الإنجليز خط زوال غرينويتش قرب لندن وفرنسا الخط المار بباريس وألمانيا الخط المار ببرلين وهكذا.. وأما الأعراض فلا اختلاف في شئ منها لا من متقدم ولا من متأخر. فطول المحل عبارة عن بعد خط نصف نهاره عن خط نصف نهار المعمور غربا. والأصل في ذلك أن الأقدمين لما أرادوا معرفة الأبعاد شرقاً وغرباً نظروا إلى المعمور وابتدأو الكيل من أوله لكونه أقرب إلى أمكنة علماء الإرصاد حينئذ حيث الجزائر الخالدات. ويقال جزائر السعادات إلى آخر العمارة شرقاً حيث جمكوت ويقال كنكز فوجدوا بعد ما بينهما مائة وثمانين درجة قدر نصف الدور. ومنهم من جعل المبدأ الغربي قبة أرين وبين المحلين العشر درج. فلذلك ربما وقع الخلاف في تعيين طول محل. ثم بعد ذلك قد عينوا أطوال كثير من البلدان الموجودة حينئذ.

وأما كيفية استخراجها فقد نصوا أن لا يمكن استخراج طول إلا براصدين أحدهما في البلد المعلوم الطول والآخر في البلد المجهوله. ويأخذ كل واحد منهما اتفاقا ارتفاع كوكب عند ابتداء كسوف القمر لوقت معين أو تمامه.

ويعلم من قبله بعد الشمس عن دائرة نصف النهار الذي تتلوه ليلة الكسوف. فإن اتفقا بعدا فطول البلدين واحد. وإن اختلفا نقص الأقل من الأكثر. وما بقي فهو فضل الطولين. فإن كان البعد الأقل للمعلوم الطول زيد الفضل على طوله. وإن كان بالعكس نقص منه. والحاصل بعد الزيادة أو النقصان هو طول البلد فاعلمه. ثم لا يخفى عليك ما في هذا من العسر. ولذلك جنح عنه كثير من المتأخرين إلى وضع جداول تشتمل على أعراض وأطوال بلدان كثيرة مشهورة ليقيس بها من قرب إليه بعضها. وما وقفنا إلى الآن على جدول منها أوعب من جدول الجاوي في تأليفه الموسوم بالجواهر النقية فإنه أتى فيها بثلاثمائة بلدة من البلدان الموجودة وعين الجهات والأنواع. وما وجدت في جميعها أقل طولاً من داكار في الجنوب الغربي في طول العشرين ولا أكثر طولاً من بلدة يقال لها سبنهر (سمطرة) في الجنوب الشرقي من بلاد جاوة في طول مائة وخمسة وسبعين. والله أعلم.

وأما قولكم: "وعن تعيين الصورة المسماة بفيطور وأظن أنها ليست الصورة المسماة بقيطس. فإن كان المراد واحداً فلا إشكال.." فالذي يظهر رجحان هذا الظن لأن بعض من تكلم على الصور الثمان والأربعين لما ذكر الإحدى والعشرين شمالي فلك البروج جعل أولى هذه قيطس بواو وبدونها وضم الطاء فيهما وجعل قنطور من حادية عشرتها. ولو كانت صورة واحدة لبطل هذا التقسيم إلا أن الذي وجدناه في النسخ من غير ما كتاب واحد كتبه بالنون لا بالياء كما في نسختكم. ولكن حيث لا رواية ولا دراية فلا تحقيق. والله أعلم.

وأما قولكم: "وعن تعيين الكوكب المسمى بالخاضب فإذا كان المراد به هو الكوكب الخضيب فلا إشكال..." فاعلم أن ما وقفنا عليه من الأكف هي الكف

الخضيب لنجم من أنجم الصورة المسماة بأدلة الكرسي يقال إنه إذا توسط السماء كان الدعاء مجابا إلاّ من ظالم. والكف الجذماء لنير من أنجم الصورة المسماة قيطس. وأما الخاضب فلا أعلم له شيئا. نعم ثم نجم من أنجم النهر يقال له الظليم. فإن عبر عنه بلفظ الخاضب لترادفهما لغة فلا بعد.

وأما قولكم: "كيف نعرف مكان الرأس والذنب من الفلك حتى نعلم هل كل واحد منهما في شرقه أم هبوطه أم غير ذلك.." فاعلم أني ما حققت تصور هذا السؤال إلى الآن، لأن الذي رايناهم يذكرون له الرؤوس والأذناب هي الصور الحيوانية من صور البروج وغيرها كما يقال رأس كذا أو بطنه أو رجله أو ذنبه. وأما ذنب الفلك نفسه أو رأسه فلا علم لي به. وما امعنت نظري في الشرف والمبسوط ونحوهما. وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه الحقير البصوبي مسلما داعيا أواخر أخرى الجمادين عام ١٣٤٥هـ (ديسمبر ١٩٢٦م). وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فن كتابة المصحف الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة صغيرة الحجم كثيرة العلم في علم الرسم الذي هو من أفضل العلوم. وضعها العلامة الأديب والفهامة النجيب، عالم القطر السنغالي البائع أوقاته في أن يخدم العلم ويغالي، بركة هذا القطر السعيد وتحفة هذا العصر الجديد، سيدي محمد بن العلامة محمد الكبير البصوبي الأصل البولي الوطن الواسع في كل علم من العلوم الشرعية الباع والعطن. وكان سبب وضعه لها أنه كان تبعاً لشيخه الكبير ذي العلم الواسع والفضل الغزير، أعجوبة الزمان بشكله ومثاله، بدر البدور وبحر البحور ونور النور وصدر الصدور وشمس الشموس ورأس الرؤوس سيدي وسندي وملجأي ومعتمدي، الشيخ أحمد بن العلامة البركة السيد محمد بن حبيب الله البكي - رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وجعلنا من المحسوبين على جنابه يتحسن ويستصوب كتب كتاب الله العزيز وفقا لما ذكره الشيخ العارف العلامة سيدي أحمد بن محمد الحاجي في تأليفه في علم الرسم كالجوهر وشرحه والمبين. وقد كان كتب مصحفين - رضي الله تعالى عنه - تبع فيهما مضمون رسوم الشيخ المذكور حرفا بحرف كما هو في هذه الرسالة مسطور. ثم عزز ذينك المصحفين بثالث حذا فيه حذو أخويه إلا أنه خالف فيه الشيخ الحاجي - رحمه الله تعالى - في ستة مواضع كما ستراه في هذه الرسالة المباركة التي ليس لها في فضلها من مشاركة. وفي الحقيقة الوضع السادس عبارة عما يصدق على عدة مواضع بخلاف ما سبقه. فهي كما سترى خمسة مواضع محققة.

ولما خالف الشيخ الحاجي في هذه الحروف ولم يرسم على حسب ما ذكره في تلك الظروف أحب أن يبين السبب الداعي إلى الخلاف ليقلد الحق من كان ذا إنصاف فيظفر بمعين صاف ويتحلى بأحسن الأوصاف ونعم ما فعل. فهي مسألة متعينة "ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة" (الأنفال، آية ٤٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على من يستحق التبجيل والتكريم، محمد وعلى آله أهل التقديم. الحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بجاهه تتنزل البركات وعلى آله ذوي القرابة وعلى جميع الصحابة وكل من امتطى بواسطته -- صلى الله عليه وسلم أعالي الدرجات.

أما بعد فهذه مقدمة جعلتها تقدمة بين يدي الناظر في هذا المصحف الكريم الناهج على منوال المصحف العثماني القديم ليكون على بصيرة نافذة إلى أسرار مسلكه القويم إن كان له قلب سليم. أعلم أنه قد تقرر إجماع المسلمين على وجوب اتباع الرسم العثماني لكل من يريد أن يكتب مصحفا ولا يجوز له أن يكتب على الرسم المتداول القياسي فإن ذلك خرق لإجماع المسلمين. فقد نقل الإمام ابن القاضي عن اللبيب في شرح العقيلة ما محل الحاجة منه: "إن ما فعله صحابي واحد وأمر به فلنا الأخذ به والاقتداء بفعله والاتباع لأمره. وقد اجتمع على كتب المصاحف حين كتبوها اثنا عشر ألفا من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – ونحن مأجورون على اتباعهم ومؤثمون على مخالفتهم. فينبغي لكل مسلم عاقل أن يقتدي بهم ويفعلهم. فما كتبوه بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف وما كتبوه متصلا من هاء التأنيث بالتاء فواجب أن يكتب بالتاء. وما كتبوه بالهاء فواجب أن يكتب بالهاء" ثم قال عند قوله "ولا الضالين". اعلم أنه لا بد من تضفير لام الألف لإجماع المصاحف عليه. فما يفعله الناس من عدم التضفير حرام لمخالفته الإجماع".

ثم اعلم ثانيا أن الناس اختلفوا في النقل عن العثماني. والسبب في ذلك – والله أعلم – أن سيدنا عثمان – رضي الله تعالى عنه وعن بقية الصحابة أجمعين – لما أمر بكتب المصاحف على العرضة الأخيرة شرط عليهم من جملة ما شرط أن تكون على وجه يحتمله كل ما صح نقله وثبتت روايته عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فكتبوا كذلك ستة مصاحف أرسل واحدا منها إلى مكة وإلى الشام واحدا وإلى الكوفة واحدا وإلى البصرة واحدا وأمسك بالمدينة واحدا لأهل المدينة و واحدا لنفسه. وهو المسمى بالإمام. وقد جعلوا هذه الستة متفاوة في الإثبات والحذف والبدل والفصل والوصل لاشتمالها على الأحرف السبعة. وربما صوروا كلمة بصورة في مصحف وبأخرى في آخر تنبيها على الجواز، لكن اتفقت المصاحف الستة على هذا الترتيب الموجود وعلى المائة والأربع عشر سورة أولها الحمد وآخرها الناس وعلى البسملة أول كل سورة إلا سورة براءة فجعلوا مكانها بياضا وعلى التجرد من النقط والشكل وأسماء السور ونسبتها وعددها وتجزئتها وفواصلها. ثم ألحقت هذه بعد. وكل من قلد واحدا من الستة فقد أصاب. وقد تجرد للنقل الصحيح عن رسوم هذه المصاحف رجال سهروا وتعبوا نهارهم. وأول من ظهر منهم بالمغرب واتفق عليه الناس بالقبول، سيد القراء، الإمام أبو عمر عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي الداني القرطبي – رضي الله تعالى عنه. ولد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة أربعين وأربعمائة. فقد ألف في علم القراءات ما لا يحصى. وفي خصوص الرسم المقنع والمحكم وغيرهما ثم تلميذه الإمام أبو داوود وسليمان بن نجاح، صاحب التنزيل – رضي الله تعالى عنه – ثم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البلنسي، صاحب المصنف – رضي الله تعالى عنه – ثم الناس بعدهم أفواجاً كالإمام الشاطبي صاحب

العقيلة وكالخزار صاحب مورد الظمآن - رضي الله تعالى عنهما وغير وغير. وكل ما اتفق عليه هؤلاء الأئمة فلا محيد عنه لمغربي باتفاقهم وإذا اختلفوا فمنهم من يلتزم الداني ومنهم من يلتزم غيره حتى ظهر إمام القراء وشيخ المغرب ومجدد فني القراءة والرسم بها الإمام أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي. ولد رحمه الله سنة تسع وتسعين وتسعمائة وتوفي صبيحة يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان سنة اثنتين وثمانين وألف ومقامه بالمغرب كمقام ابن الجزري بالمشرق في التجويد والتحقيق. فلم يوجد بعده بالمغرب أستاذ إلا وقد روي عنه أو عن تلامذته. وكان - رحمه الله - لم يلتزم واحدا من المذكورين. وإنما نظر في الأدلة فميز القوية من الضعيفة. وفيما رجحه من قبله من الأئمة كشيخه ابن عاشر وشيخ الشيوخ الإمام ابن غازي وغيرهما - رحم الله الجميع - وعلى تواليه وأجوبته اعتماد أهل المغرب منذ ظهوره إلى وقتنا هذا. وما وجدنا من تابعه حق المتابعة في قطرنا هذا البعيد عن المعمور إلا العالم الولي سيدي أحمد بن محمد بن أحمد بابا ابن النجيب الحاجي - رحمه الله تعالى ونفعنا به - فإنه لخص زبد ما لابن القاضي في أنظامه الطنانة المقبولة كالمبين والجوهر وغيرهما وما رأيناه رجح شيئاً خالف فيه عمل أهل المغرب الأقصى اليوم إلا نادراً لا حكم له. ولهذا اتخذناه إماما نقتدي به إن شاء الله إلى أن نلقى الله تعالى على ما عليه عمله وعمل السواد الأعظم ورفضنا ما وجدنا عليه متأخرى هذا القطر من التزام معين دون الدوران مع الحق حيث دار كما اعترف بذلك بعض محققيهم كتلميذ جدنا الأعلى، الشيخ محمد الكبير - رحمه الله تعالى - الذي كتب له المصحف الموجود بعضه الآن وهو السيد أحمد بن الحسن الجاني - رحمه الله تعالى - في أواخر القرن الثاني عشر. فإنه

صرح في محول آخر ورقة من نسخته المذكورة: "أنه التزم أن ينسخ هذا المصحف على ما اتفق عليه الشيخان أبو داوود وأبو عمرو ثم على ما انفرد به أبو عمرو فقط إذا اختلفا لا على ما انفرد به أبو داوود". ومرادنا بمتأخري هذا القطر هذا الرجل وأضرابه ممن عاصروه ومن قبلهم بقرب. وأما من أتى بعدهم فلا عبرة بجلهم لأنهم تركوا تعلم هذا الفن رأسا واكتفوا بما تلقنوه من أفواه معلميهم إلى ألسنتهم العجمية من غير نظر في راجح ومرجوح وتمييز صحيح من سقيم. وذلك نحو أوائل القرن الثالث عشر وخصوصاً من ظهور شيخ أجدادنا الأدنين المصحح الشهير مصنب جيبو – رحمه الله تعالى. فلم يشتغل بعد ظهوره بمطالعة كتب الرسم إلا أفراد من الناس اكتفاءاً بما تلقنوه غالباً عنه وعمن انتهج نهجه إلى اليوم.

وأما منظومات الحاجي المذكورة فلقرب زمانه من زمن هؤلاء المذكورين لم تنتشر في هذا القطر انتشاراً كلياً إلا في هذا العصر الجديد المبارك بشيخنا – رضي الله تعالى عنه الذي تجدد مع ما تجدد بتجديده رسم المصاحف الكرام على وجهه. وهو – رضي الله تعالى عنه – السبب في نسخ هذا الإمام [1] وفي المصحفين قبله لا عدمناه ولا عدمنا بركته. آمين.

ومما لا يخفى على من له أدنى إلمام بهذا الشأن أن المغاربة كما أجمعوا على مذهب إمام دار الهجرة من بين المذاهب كذلك أجمعوا على قراءة قارئها من بين القرآت وعلى رسم المصحف الإمام من بين المصاحف وعلى ضبط مصاحفهم بموافقة خصوص رواية أحد راوييه، الإمام سيدنا ورش المصري

---

[1] كان الشيخ امباكي كتب هذا النص في مقدمة مصحف كتبه للشيخ محمد بمبا ثم فصلت المقدمة عن المصحف الذي لم نعثر على أثر له.

– رحمه الله تعالى ورضي عنه – واقتصروا في الأعداد الستة المتداولة في جميع أقطار المسلمين لآي القرآن على المدني فقط المروي عن إمامين، الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع والإمام شيبة بن نصاح، مولى سيدتنا أم سلمة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – رضي الله تعالى عنها وعن بقية السيدات الطاهرات جمع، إلا أن ثمَّ مدنيين الأول وهو ما رواه الداني بسنده إلى الإمام نافع عن الإمامين المتقدمين وعدد الآي فيه ستة الآف ومائتان وعشر آيات. والأخير وهو ما رواه الداني أيضاً بسنده إلى إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جماز عن الإمامين أيضاً وهو يزيد على الأول بأربع آيات لاختلاف أبي جعفر وشيبة في ست آيات عد منهن أبو جعفر آية ولم يعدها شيبة. وعد شيبة منهن خمسا ولم يعدهن أبو جعفر. وكان اسماعيل يأخذ فيهن بقول شيبة. وعلى هذا الأخير بحسب الاستقراء وجدنا إجماع مصاحف سلفنا – رحمهم الله، إلا أنا وجدنا في تعيينهم لرؤوس الآي تصرفا يسيرا إلى الآن لم يعثر الحقير على أول من تصرف فيه. وذلك أنك إذا حققت هذا العدد الموجود الآن بأيدينا وجدته ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية كما للأخير. ووجدتم حيث خالف الأول المروي عن إمامهم الأخير المسند إلى غيره تبعوا الأخير دون الأول ثم عمدوا إلى مواضع قليلة وأخذوا بما للأول فيها وتركوا فيها ما للأخير مع بقائهم على العدد الأخير في الجملة ولنا:

وخالف الأخير في اسقاط ما ... أثبت آيا بعض من تقدما
وهي وعدا حسنا تلاها ... إليهم قولا معا بطه
وفي السماء تؤتى أكلها ... أسقط ذاك البعض تلك كلها؟
العصر وعكس يجري ... في السامري الوسط وفي العصر؟
مثل جديد قبله بخلق ... أول طه آسفا بالحق

والعجب العجاب ما في نوح فابكي له ياجارتا ونوحي
كزمر إما أتى عن زمري أولى الأداء ما ترى في الزمر

ثم اقتصروا أيضاً في وضع الوقوف على ما قيد عن الإمام أبي عبد الله سيدي محمد ابن أبي جمعة المبطي الصماتي الفاسي المتوفى بها سنة ثلاثين وتسعمائة - رضي الله تعالى عنه - من أول القرآن إلى آخره بهذه الصورة الواحدة المعلومة سواء كان الوقوف تاما أو كافيا أو حسنا كأن الصورة مختلسة من لفظ "صه" بمعنى اسكت. والله أعلم.

وأما مواضع الأحزاب والأنصاف والأرباع والأثمان فلم تنضبط لأن لكل قطر اصطلاحا يخصه. وكذلك صور العواشر والخوامس لأن صور البصريين مخالفة لصور الكوفيين وهكذا. فاقتصرنا في هذه على ما وجدنا عليه سلفنا - رحمهم الله تعالى - إذ لا مشاحة في الاصطلاح. وأما النادر الذي ذكرت لك أن ترجيح الحاجي - رضي الله عنه - خالف فيه عمل أهل المغرب الأقصى فهو يسير جدا بالنسبة لما عليه غيره من أهل القطر ولا يستحضر الحقير منه إلا أحرفاً يسيرة في الرسم دون الضبط يحتمل - والله أعلم - أن الإمام القاضي رجع أخيراً عما نقله عنه الحاجي ورجح غيره أو أن أهل المغرب وإن اعتمدوه فقد خالفوه في حروف يسيرة - ولا أخالهم - أو أن الحاجي رجح في محل ما لغير ابن القاضي كالإمام ابن الجزري - رحمه الله تعالى - أو غير ذلك. ثم إني في المصحفين المتقدمين قبل هذا كنت تبعت الحاجي - رحمه الله تعالى - حتى في هذه الحروف اليسيرة موافقة له - رضي الله تعالى عنه. وفي هذا الثالث تبعت فيها عمل السواد الأعظم. وأما المحال المشار اليها فستة:

الأولى حروف المائدة. فإن الحاجي – رضي الله تعالى عنه – قال في مبينه: " كَفَّارة ثم يضاهون اعلما" وقال في جوهره: "كَفَّارة في حذفه قد أطلقوا" ثم قال في شرح نحو" كَفَّارة له" وغير. فقال ابن القاضي: "كَفَّارة له سكت عنها في التنزيل والعمل بالإثبات وحذفها المصنف وهو مما يخطئون فيه". وقد قال الإمام ابن القاضي – رحمه الله تعالى – في كتابه الذي لقبه بقوله "بيان الخلاف في التشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه في التنزيل والبرهان وما جرى به العمل من الخلافيات الرسمية في القرآن وما خالف فيه العمل النص فنفذ بيانه بأوضح بيان" ما نصه: "كفارة سكت عنها في التنزيل والعمل بالإثبات وحذفها المصنف ولم يعتبر هنا لعدم النسبة فيها له". وفي دليل الحيران على موارد الظمآن عند قوله "ربائب كفارة يراني" ما نصه "وكان من حق الناظم أن يستثنى لأبي داوود ذكر ألفاظ "كفارة" كلها وسكت عنه. وقد أطلق صاحب المصنف الحذف في لفظ "كفارة" كالناظم هنا. وفي عمدة البيان إلى أن قال: "والعمل عندنا على الحذف في جميع هذه الألفاظ المذكورة في هذا البيت حيث وقعت إلا كفارة في قوله "فهو كفارة له" في العقود. فالعمل عندنا على إثباته".فتأمل في هذا فإن الإمام ابن القاضي اعترض هنا على كلام المصنف الذي نقله عنه الحاجي ولم ينقل اعتراضه عليه وكأنه رجح ما للمصنف. وعامة مصاحف المغاربة على الإثبات. وهذا المحل لا يبعد أن يكون من الاحتمال الثالث في الاحتمالات التي تقدمت لنا. والثاني والثالث حرفا البراءة. فقد قال الشيخ الحاجي – رحمه الله تعالى – في جوهره في الحذف بعد القاف "أعقابكم بقدر فسيتا" وفي المحذوف بعد الميم: أعمامكم إمامهم أنته لقمن إسماعيل مع عمرته ثم قال في مبينه:

والحذف في سقاية عمارة ذكرها ابن الجزر إشارة
إلى قراءة سقاية عمارة فإنها رواية مشتهرة
إلى أبي جعفرهم وابن جبير أحمد قد نسيها وابن الزبير
قال وقد رأيتها في مصحف أهل المدينة بغير الألف
وليس للإثبات من توجيه لفقد نص فيه عن وجيه

فتبصر فإن المغاربة قاطبة لم يعرجوا على الحذف الحرفي. ولعل هذا المحل يمكن أن يكون من الاحتمال الثالث لأنه لم يعز فيه إلى ابن القاضي. وأما ابن الجزري الذي نسبت إليه الرواية فقد صرح فيها بمصحف أهل المدينة. فقد تقدم أن المغاربة أجمعوا على رسم المصحف الإمام من بين المصاحف فلا يبعد أن يكون إثبات الحرفين ثبت لهم عنه برواية صحيحة، وإن قال الحاجي – رحمه الله تعالى – عن قوم "لفقد نص فيه عن وجيه" إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة. والله أعلم.

ثم بعد كتبي هذا – والله الموفق – وقفت على كلام للحاجي – رضي الله تعالى عنه ونفعنا به – يصحح ما احتملنا قبل. وهو ما ذكره في صدر شرحه للجوهر عند قوله:

فما ذكرت فيه إلا قد ما كتب في هذه أو شبهها من الكتب

بعد أن عدد الكتب المعتمدة في هذا الفن. ولفظه "وكلما ذكرت عن العقيلة وما قبلها فبواسطة بعض من ذكر غالبا إلا أني ذكرت كلمتين. وهما سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام" معتمدا فيهما كتابا لبعض المتأخرين يتكلم على

ما أخطأ فيه بعض المصاحف ولا أدري حاله إلا أن نقله صحة وتحقيق. وقد عزى ما ذكر فيهما للنشر في قراءة العشر لابن الجزري. وليس هو عندنا الآن. ولكن كلامه كلام تحقيق. وما ذكر يشبه الصحة. ثم إني رأيتهما منصوصين للشيخ سيدي عبد الله ابن الحاجي حمى الله وهو ثقة. ولا أعلم أحدا نص على الإثبات فيهما".

والرابع حرف طه. فقد قال في الجوهر

وألفا في "يابنؤم" فارسم كما إلى مصحف عثمان نمي

وقال في المبين:

وألف ابن بعد ياء النداء في "يابنؤم" ارسم بلا امتراء
نص على ذاك سليل الجزري أعني ابا الخير محمد السري
في النشر في قراءة العشر وقال هذا هو الحق وغيره ضلال
لأنني رأيتها في الشام به وفي العثماني والإمام
وقد رواها قبله البخاري في المصحف الشامي بثبت الهامي

وقال في التنزيل خمس أحرف يريد إنها بغير ألف

لكن ما نسب للصحابة أرجح من سواه في الكتابة

ومع هذا لم يعرجوا على إثبات الألف فيه. فلعل نقل الجزري في تحقيقه وعزوه للعثماني الإمام لم يزلزلهم وينزلهم عن نص إمامهم في تنزيله. قال في دليل الحيران عند قول المتن: "أما نعما عم صل ويبنؤم" بعد كلام له وما

ذكره من حذف همزة الوصل من ابن في (يابنؤم)" هو صريح كلام داوود في التنزيل. ويستفاد من المقنع ونص عليه اللبيب. وبه العمل خلافا لمن قال بإثباتها رسما. وأما حذف ألف يا من يبنؤم في الرسم فيؤخذ من قول الناظم في حذف الألفات: "وما أتى تنبيها أو نداءا.." والله أعلم.

والخامس حرف الروم. فقد قال في الجوهر: "ومطلع الريح والخطايا" ثم قال في شرحه على المختار ثم ساق ما نصه في مبينه على السبعة المختلف فيها إلى أن قال: "والحذف أوجه في الجميع لقراءتهم بغير ألف مفردات. وقال الخراز في مورد الظمآن في ضمن ذكر ما اختلف في حذفه وإثباته من لفظ "الريح" وما اتفق على حذفه:

وجاء أولى الروم بالتخيير لابن النجاح ليس بالمأثور

قال شارحه المحقق السملالي الكرماني – رحمه الله تعالى – في قوله ليس بالمأثور أي بالمروي. بل أجمع كتاب المصاحف على إثبات الألف فيه. وإنما خير أبو داوود بالقياس على غيره من ألفاظ "الرياح" الذي فيه الحذف ليأتي الألفاظ على طريق واحد". وقال هنا صاحب دليل الحيران ما لفظه: ذكر هنا حكم الألف في لفظ الرياح حيث وقع في القرآن. وجملة مواضعه اثنا عشر إلى أن قال إن أبا داوود خير في حذف الرياح الواقع أولا في الروم وفي إثباته. ولم يرو فيه عن المصاحف شيئاً. ثم قال بعد كلام: "وفي كل من الواضع الاثني عشر عدا أول الروم قراتان سبعيتان بالإفراد والجمع. وقد اختار أبو داوود الحذف في الرياح الذي أول الروم. واستحب الحذف في الذي في سورة الحجر. والعمل عندنا على حذف ألف الرياح حيث وقع إلا

الذي في أول الروم. فالعمل عندنا على إثبات ألفه لعدم ثبوت أصل الحذف فيه مع إجماع القراء على قراءته بالجمع". وعلى ما لهذين الشارحين أطبقت مصاحفهم الآن. والله سبحانه وتعالى أعلم.

والسادس أن الحاجي - رضي الله تعالى عنه - اقتصر في المعقوص عن الياءات على ثلاثة أنواع فقط. وهي صورة الهمزة نحو شطئ الوادي والسيئ والساكنة حية نحو شئ ويدي أو ميتة نحو والذي والتي والزائدة نحو نبأي ومن ورائي ورجح الوقص فيما سوى هذه. قال في جوهرة:

والياء إن صور أو سكن رد والغير بالتعريف والخلف يرد

قال في شرحه: "أي قوله والخلف يرد" أي في كل نوع منهما لكن المشهور ما ذكرنا. وهو الأولى بالاتباع والأحق بالاستماع. وقال في مبينه:

العقص لازم بياء زائدة ساكنة أو صورة أو زائدة
والوقص في ذات تحرك ولو عارضا أو بانقلاب قد تلو؟
كذا جرى عمل أهل المغرب وهو الأحق عندنا في المذهب

وقد زاد المغاربة من المتحركات نوعاً رابعاً أجمعوا على عقصه. وهو المكسور بين ساكنين نحو: "أنت وليي" وما تصرف من لفظ الإحياء والاستحياء وصار إلى هذه الحالة نحو يحيى وحيي ويستحيي. وقد أسبغ الكلام في الياء الموقوصة والمعقوصة الإمام ابن القاضي في بيان الخلاف والتشهير نظما ونثراً، فقد صدر بما عزاه إليه وإلى عمل أهل المغرب الحاجي - رحمه الله - من الاقتصار على الأنواع الثلاثة ثم جلب نصوص

الأئمة في المسألة بذكر كلام اللبيب في شرح العقيلة عن الطلمنكي أن الياء في كتاب الله تعالى تنقسم إلى أربعة أقسام ثم ذكر تقسيم القيسي في الميمونة في نحو خمسة عشر بيتا ثم تقسيم التنسي (؟) في الطراز إلى ثمانية أقسام بقوله:

الوقص في ذي فتح أو قلب كثر في ذات كسر والسكونين نزر
والضم بالسوى وما صدر مع ما زيد عين فيهما العقص تضع

ثم نقل كلام المصنف وكلام التنزيل وأنه نص للداني فيها إلا في المقنع ولا في المحكم وساق كلام ميمون في الدرة في نحو أحد عشر بيتا. ولعل اعتمادهم في هذا النوع الرابع هو نص الطراز المتقدم بنزر الوقص في ذات الكسر والسكونين يفهم كثرة العقص فيهما. والله تعالى أعلم. ولم يستحضر الحقير مع طول البحث موضعاً سابقاً خالفهم فيه ترجيح الشيخ الحاجي – رضي الله تعالى عنه – في فن الرسم كله ولا مسألة واحدة من مسائل الضبط.

فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرا. فقد خدم في هذين الفنين وغيرهما خدمة أراح بها كل من أتى بعده ممن يعتني بهذا الشأن. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله الإخوان وعلى صحابته نجوم الاهتداء لكل مهتد على مر الزمان وأماتنا على محبتهم وموالاتهم واقتفاء آثارهم وحشرنا في زمرتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون بجاههم وبجاه أشياخنا أولهم وآخرهم آمين يا رب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وللناقل مقيدا:

ما خالف الحاجي أهل المغرب في غير رسم ذي الحروف فاحسب

كفارة له سقاية عما رة ويبنؤم في طه سما

لفظ الريح أولا في الروم كذاك ياء جاء في المرسوم

مكسوراً إن بساكنين اكتنفا قدتم ما الراوي رواه فاعرفا

في غير يبنؤم بحذف الألف من ذي بعكسهم ووقص اليا ألف

للعالم المحقق البصوبي نسبتها يا رب لي اغفر حوبي

أجوبة في النحو والتفسير والفقه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه خيار الأنيم. أما بعد فالسلام عليك والتحية والإكرام إليك أيها الأخ الفائق والتلميذ الحاذق أبو بكر سيسي نجانا الله وإياك من كيد كل خسيس. فاعلم أني رأيت مكتوبك الدال على اطلاعك في فنون وعلى طول باعك. إلا أنك استسمنت ذاورم ونفخت في غير ضرم برفعك هذه الأسئلة إلى مثلي مع ما علم من قصورى وجهلي. فلولا منزلتك عندي مع ما عهدناه من حسن ظنك فينا لا أحرك بنت شفة ولسترت ما أعلمه في من غفلة وسهو وسفه.

أما قولك: "ما معنى قول ابن بون في طرته:

واختلف النحاة في المضاهي لا عاصم اليوم من أمر الله

وقوله:

وجامد ومنتف بغير لا دخول قد عليه منعه انجلى

ولأي أمر خص "لا" هذا الحكم دون بقية الأحرف؟"

فالجواب – والله تبارك وتعالى الملهم للصواب. اعلم أن المطرر – رحمه الله – بين في البيت الأول اختلاف النحاة في اسم "لا" النافية للجنس المشابه المضاف في العمل، إذ فيه لهم أقوال. منهم من يقول إنه يلزم تنوينه وإعرابه مطلقاً نحو: لا طالعاً جبلاً". ومنهم من يجوز ترك تنوينه بقلة تشبيها بالمضاف لا بناءا. وهذا اختيار ابن مالك. قال في التسهيل: "وقد يحمل على المضاف مشابه في العمل فينزع تنوينه" أي جوازا فيكون معرباً ولكن ترك

تنوينه لمشابهته بالمضاف بترك تنوينه. فكلما حمل عليه في الإعراب حمل عليه في ترك التنوين. ومنهم من ذهب إلى جواز بنائه إن كان عاملاً في ظرف أو مجرور نحو: "لا عاصم اليوم من أمر الله (سورة هود، الآية ٤٣) "لاتثريب عليكم اليوم"، (سورة يوسف، الآية ٩٢)، "ولا جدال في الحج" (سورة البقرة، الآية ١٩٧). وفي الحديث الشريف: "لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت". لا إذا كان عاملاً في المفعول الصريح. ومنهم من يجوز بناء الاسم المطول نحو: "لا قائل قولا حسنا ولا ضارب ضرباً كثيراً". هذا محصل الاختلاف المذكور ثم ما وجد من ذلك منزوع التنوين كالآيات المذكورة والحديث الشريف. فمن ذهب إلى الأول كالبصريين يقدر عاملاً محذوفاً نحو: لا عاصم يعصم اليوم لأنه يقول لو عمل في الظرف لوجب تنوينه. ويصح في الاية الثانية أن يكون اليوم ظرفاً لقوله: "يغفر". ومن لم يذهب إلى الأول فلا يحتاج إلى تقدير لأن العامل عنده في الظرف هو اسم "لا" وبالله التوفيق.

ثم بين في البيت الثاني الموضوع في مبحث "قد" بعض شروط مدخوله. وقد علمت أن "قد" معدود من خواص الفعل وأن النحاة قد شرطوا للفعل الذي يدخل عليه أربعة شروط وهي أن يكون متصرفاً لا جامداً كليس وعسى، خبرياً لا إنشائياً كنعم وبئس، مثبتاً لا منفياً، مجردا من جازم وناصب وحرف تنفيس لا مقترنا بواحد مما ذكر. وذلك لأن الجامد يشبه الحرف في الجمود. وهو لا يدخل على الحروف. والمطرر - رحمه الله - ذكر من الشروط الأربعة الأول والثالث فقط. فقال: "وجامد من الأفعال.. ومنتف منها بغير لا دخوله عليه منعه انجلى". ثم استثناؤه "لا" من بين النافيات استظهار نحو: قد لا يفعل. قال: "فالظاهر جوازه".

وأما قولك: "ولأي أمر خص "لا" هذا الحكم.." فلم أقف على من علل ذلك ولا يبعد عندي أن ذلك لأن "لا" في النافيات كالأم لها لأنها أكثرها دورانا في الكلام. فلا غرو إذا اختص بشئ دونها كما "كان" لأمهات النواسخ. والله أعلم.

وأما قولك: "وما معنى قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي" الآية (سورة الحج، الآية ٥٢) مع قوله "إنهم عن السمع لمعزولون" (الشعراء، الآية ٢١٢). فاعلم – نور الله بصيرتنا وبصيرتك أن الآيتين الكريمتين لا تناقض بينهما ولا منافاة بل ولا في القرآن مطلقاً: "ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (النساء، الآية ٨٢) الثانية – والله أعلم بمراده – تنزه الأولى عما عسى أن يغلب ظاهرها عقول الضعفة من الطلبة. فقد نزلت ردا لقول المشركين أن الشياطين يلقون القرآن على لسانه – صلى الله عليه وسلم – فهو من جملة الكهنة. فقال الله تبارك وتعالى ردا لهم: "وما تنزلت به" أي بالقرآن "الشياطين" كما يزعم الكفار "وما ينبغي" أي يصلح لهم أي لا يمكنهم أن ينزلوا به لسفالة محلهم "وما يستطيعون" لا يقدرون. ذلك أنهم "عن السمع" لكلام الملائكة أي الوحي الذي يبلغونه للأنبياء "لمعزولون" لا يصلون إليه أبدا بل محجوبون بالشهب. والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة. وهذا صريح في أن الشيطان لا يد له على القرآن العظيم ولا على جناب النبي الكريم – صلى الله تعالى عليه وسلم – بشهادة: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" (الإسراء، الآية ٦٥). وأما الآية الأولى فمن المتشابهات التي قال الله فيها: "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا

اللّـــه" (آل عمـران، الآيـة ٧). ولذلك زلـت فيهـا أقدام كثير من المفسرين حتى ذكروا في تفاسيرهم ما لا أصل له مما يقدح في عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – الذين هم حملة الوحي وقدوة البشر في الفضائل وصالح الأعمال. وقد رفع القرآن والإسلام من شأنهم ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى ونزههم عما لا يليق بجنابهم وقرر عصمتهم كافة من الزلل في التبليغ والزيغ عن الوحي الحق من قول أو عمل وخص خاتمهم محمدا – صلى الله عليه وسلم – فوق ذلك بمزايا لا تنحصر. وقد تقدم في الاعتقادات أن كل ما أوهم في حقهم أو في حق الملائكة – عليهم الصلاة والسلام – نقصا وجب تأويله إن كان من الكتاب أو السنة ورده إن كان من جهلة المؤرخين والمفسرين.

تمهيد: لا يخفى عليك أن كل من يفهم اللغة العربية إذا قرأ سوابق الآية من قوله تعالى: "وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى إلى قوله: "قل يا ايها الناس إنما أنا لكم نذير مبين".. إلى "والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك اصحاب الجحيم" ولو ألحقها إلى قوله "وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به" (الحج، الآيات ٤٢-٥٤) يفهم بادئ ذي بدء أن الآيات تحكي قدر المرسلين كافة وتصف شنشنة عرفت فيهم وفي أممهم لا محالة. ثم إن كان مؤمناً كامل الإيمان يعلم قطعا إجمالا وإن لم يدرك التفاصيل أن ذلك لايئول إلا إلى طهارة جيوبهم ورفعة شؤونهم وعلو منازلهم وكون العاقبة لهم وتأييد من آمن بهم وخسارة من كفر بهم ولو بلغ ما بلغ إما عاجلا أو آجلاً كما هو الواقع. فإن الله تبارك وتعالى ذكر هنا لنبيه – صلى الله عليه وسلم – حالا من أحوال الأنبياء والمرسلين ليبين سنته فيهم وأن ما ابتلى به – صلى الله عليه وسلم – من المعاكسات في الآيات قد ابتلى به الأنبياء

السابقون فلم يبعث نبي في أمته إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ويضآدون أمانيه ويحولون بينه وبين ما ينبغي مما يلقون في سبيله من العثرات. ومن كان حاله هكذا فلا بد أن يكون له في قومه أمنية أي أمنية. وهي أن يتبعوه وينجازوا إلى ما يدعوهم إليه. وكان نبينا – صلى الله عليه وسلم – من ذلك المقام الأعلى والمكان الأسمى حتى قيل له – صلى الله عليه وسلم: "فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا.." (الكهف، الآية ٦) "وما أكثر الناس ولو حَرَصْتَ بمؤمنين" (يوسف، الآية ١٠٣) "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (يونس، الآية ٩٩) "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" (القصص، الآية ٥٦) إلى غير ذلك من الآيات. ثم الأمم تختلف. "هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" (التغابن، الآية ٢) بنسخ الله تبارك وتعالى وساوس الشيطان من قبله وإحكامه الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة فضلا منه تعالى ورحمة أو ظاهر فقط بإبقاء الله تعالى تلك الوساوس في قلبه فيفتتن بها وتصرفه عن الهدى وتسوقه إلى الردى عدلا منه تبارك وتعالى وحكمة "لايسئل عمّا يفعل" (الأنبياء، الآية ٢٣). فإذا تمهد لك هذا فهاك ما فسر به الاية الكريمة المحققون على أخصر لفظ وأبين وجه: "وما أرسلنا من قبلك" يا محمد "من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى" أي حدث نفسه أو قومه عن ربه أو تلا وحيا أنزله الله فيه هدى لهم "ألقى الشيطان في أمنيته" التي هي هداية قومه أو تلاوته شبها وتخييلات في قلوب الأمم بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة "فينسخ الله ما يلقي الشيطان" من تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى "ثم يحكم الله آياته" يثبتها في قلوبهم "والله عليم" بما ألقاه الشيطان في قلوبهم "حكيم" في تسلطه عليهم ليميز المصلح من المفسد "ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة" محنة وابتلاءا

"للذين في قلوبهم مرض" شك ونفاق "والقاسية قلوبهم" عن قبول الحق "وإن الظالمين "الكافرين "لفي شقاق بعيد" خلاف طويل مع النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطغن في القرآن: "وليعلم الذين أوتوا العلم" التوحيد والقرآن "أنه الحق من ربك فيؤمنوا به" ويرفضوا غيره "فتخبت" فتطمئن له قلوبهم بالانقياد والخشية "وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم" دين الإسلام. سمي بذلك لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم "ولا يزال الذين كفروا في مرية منه" أي القرآن أو الرسول "حتى تأتيهم الساعة" القيامة "بغتة" فيلاقون حسابهم عند ربهم أو امتد بهم الزمن حتى يصيبهم "عذاب مقيم" حرب يسامون فيها سوء العذاب: القتل أو اليسر.

فلا أظنك – يا أخي – بعد هذا أن يبقى في نفسك ما يوهم تناقضا بين الآيتين الكريمتين أو أن تلتفت إلى ما يتناقله من يتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. جعلنا الله تعالى وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه آمين.

وأما قولك "نستفتيك في القراطيس التي جلبتها إلينا بنو الأصفر وسموها فضة أيجوز فيها الصرف، المؤخر والتفاضل أم لا بد يدا بيد مع التماثل؟ بين لنا تبيينا شافيا".

فالجواب – والله الموفق للصواب – أن القراطيس فيما نرى لا تكون فضة بمجرد تسمية أولئك لها بالفضة لأن الفضة أحد النقدين المعلومين. والصرف عند الفقهاء بيع أحدهما بالآخر. وإنما القراطيس فيما نرى – والله أعلم – عروض تتقوم بتلك القيم المختلفة بحسب اصطلاحاتهم. وإذا لا يصدق

عليهما حد الصرف، فينظر في تأخيرها أو تفاضلها. ثم بلغنا أن بعض علماء العصر يراها نقودا. فلينظر في وجهه. فإن وافق النقول الصحيحة أو القياس الجلي المقبول قبل. فالحق ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها.

وأما قولكم: "ما الفرق بين الروح والروحاني والجسماني والجسدي؟ وما معنى قول الحلاج – قدس الله سره – ولدت أمي أباها؟ وما معنى قول الحاتمي – نفعنا الله ببركاته: الحضرة المحمدية والحضرة العيسوية؟ وما تلك الحضرات وتفريقها؟ فنقول فيه ما لمسئول عنها بأعلم من السائل. وليس هذا بعشك فادرج (؟).

كلام الأولياء لست أفهم لأنني أنا أنا وهم هم

أعاننا الله تعالى إياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه ويشغلنا وإياك بما يعنينا وبه عمن سواه يغنينا. ووصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون آمين يا رب العالمين.

بقلم السيد محمد بن السيد محمد البصوبي كان الله تعالى له وللمسلمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد فقد رايت هذه الأجوبة التي اجاب بها الشيخ العلامة حافظ العصر ومقرؤ الدهر جمال البلاد السودانية ومفخر الأقطار البيضانية من إليه المرجع في الإشكال ولديه فيه محط الأثقال حسنة الوقت الذي يحفظ من المقت، السيد محمد

البصوبي – حفظه الله تعالى وبارك في أنجاله وآله الكرام وأبقى في بيتهم العلم والعمل والفضل على الدوام في مسائل أبي بكر سيسي فإذا هو أظهر فيها كل نفيس وتجافي عن كل خسيس وأمتع السامع والجليس. وما أظرف عندي وما أحلى قوله في آخر الأجوبة بعد السؤال عن الفرق بين الروح والروحاني إلخ... "مالمسئول عنها بأعلم من السائل.." فهذا من الظرافة بمكان. وقد أخذ من الحلاوة بالعنان.

هكذا فليكن وإلا فلا لا طرف الجد غير طرف المزاح.

فقير ربه تبارك وتعالى عبد القادر بن محمد الكمليلي حفظه الله تعالى وأحبته آمين.

مسائل من النحو والبيان والمنطق والعروض والحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فهذه كلمات جمعتها بقصد التمرين للأطفال المتعلمين تذكرهم كثيرا من القواعد وتحثهم على تحصيل الفوائد تتعلق بقولك "جاء زيد" من إعراب وتصريف وغيرهما. والله المسئول في النفع وجعلها خالصة لوجهه الكريم. هذا أوان الشروع في المقصود.

"جاء زيد" إعراب هذا التركيب: جاء فعل ماض مبني على فتح ظاهر لا محل له من الإعراب. وزيد فاعل مرفوع. وعلامة رفعه [illegible] آخره. فإن نطق به موقوفا تقول: مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الوقف. فإن قيل ما حقيقة البناء فالجواب أنه قيل إنه لفظي. وعرفوه بأنه ما جيئ به لا لبيان مقتضى العامل من شبه الإعراب وليس حكاية ولا اتباعاً ولا نقلا ولا تخلصاً من سكونين. وقيل إنه معنوي. وعرفوه بأنه لزوم آخر الكلمة حالة واحدة. والقولان يجريان في الإعراب. فقيل إنه لفظي فيعرف بأنه ما جيئ به لبيان مقتضى العامل من حركة أو سكون أو حذف. وقيل إنه معنوي فيعرف بأنه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديراً. فإن قيل لم بني "جاء" وكل فعل ماض؟ فالجواب أن الأصل في الأفعال البناء. وما جاء على أصله لايسأل عنه. فإن قيل لم كان الأصل في الأفعال البناء؟ فالجواب أنه إنما كان الأصل فيها البناء لأنها تتوارد عليها معان لا تفتقر إلى الإعراب فلم تستحق الإعراب بل البناء كما أن الحروف كذلك بخلاف الأسماء، فإن الأصل فيها الإعراب لتوارد المعاني المختلفة كالفاعلية والمفعولية والإضافة

كما في قولك: "ما أحسن زيدا" فإنه إن كان المراد التعجب يقال ما أحسن زيدا بفتح نون "أحسن" ونصب "زيد". وإعرابه: "ما تعجبية نكرة مبتدأ مبني على السكون في محل رفع. ومعناها شئ عظيم يتعجب منه. و "أحسن" فعل ماض. وفاعله ضمير يعود على "ما". والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدأ و "زيد" مفعول به. وإن أريد به الاستفهام يقال: ما أحسن زيد بضم نون "أحسن" وجر زيد. والمعنى أي أجزاء زيد أحسن؟ وإعرابه: "ما" اسم استفهام مبتدأ مبني على السكون في محل رفع. و "أحسن" خبر مرفوع بالضمة الظاهرة. و "زيد" مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة. وإن أريد به النفي يقال ما أحسن زيد بفتح النون من "أحسن" ورفع "زيد". والمعنى لم يقع من زيد إحسان. وإعرابه "ما" نافية و "أحسن" فعل ماض وزيد مرفوع بالضمة الظاهرة. فهذه المعاني أعني الفاعلية والمفعولية والإضافة تواردت على "زيد" ولم تتميز (إلا) بالإعراب. فلهذا كان الأصل في الأسماء الإعراب بخلاف الأفعال. فإن قيل هل يردّ على قولكم "الأصل في الأفعال البناء الفعل المضارع. فإنه معرب؟ فالجواب أنه إنما أعرب لأنه أشبه الأسماء في توارد المعاني المختلفة عليه فاستحق الإعراب. وذلك نحو قولكم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن. فإنه يحتمل النهي عن الإثنين اجتماعاً وانفراداً والنهي عن المصاحبة والنهي عن الأول وإباحة الثاني. وهذه المعاني لا تتميز إلا بالإعراب. فإذا أردت النهي عنهما اجتماعا وانفراداً تقول: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن بجزم الفعل الأول والثاني. وإعرابه "لا" ناهية. و "تأكل" فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. وعلامة جزمه سكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين. والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت. واللبن مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة. وإن أريد النهي عن المصاحبة يقال: "لا تأكل

السمك وتشرب اللبن بجزم الفعل الأول ونصب الثاني. وإعرابه "لا" ناهية و "تأكل" فعل مضارع مجزوم إلى آخر ما مر.. وتشرب الواو واو المعية و "تشرب" فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية الواقعة في جواب النهي. والفاعل مستتر فيه. و "اللبن" مفعول. و "إن" وما دخلت عليه مصدر معطوف على مصدر متصيد من الكلام السابق. ومنهم من جعله مفعولاً معه. والمعنى أنهاك عن أكل السمك وشرب اللبن أي أن تصحب بالسمك اللبن. وإن أريد النهي عن الأول وإباحة الثاني. يقال: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن" بجزم الفعل الأول ورفع الثاني. وإعرابه "لا تأكل مثل الذي تقدم وتشرب.. الواو للاستئناف. و"تشرب" فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم والفاعل مستتر. و "اللبن" مفعول. والمعنى أنهاك عن أكل السمك ولك شرب اللبن. فهذه المعاني الثلاثة تواردت على "تشرب". ولم تتميز إلا بالإعراب. فلهذا استحق الفعل المضارع الإعراب بخلاف الماضي والأمر. فإن قيل يتوارد على الماضي معان مختلفة ومع ذلك لا يعربونه. وذلك نحو قولك: "ما صام زيد واعتكف". فإنه يحتمل أن المعنى على نفي الأمرين عنه أي ما وقع منه صوم ولا اعتكاف أو على نفي الأول مصاحبا الثاني أي ما صام حال كونه معتكفاً أو على نفي الأول وثبوت الثاني أي ما صام وقد حصل منه الاعتكاف. فالجواب أن هذا مثل نادر لا عبرة به أو أنا لا نسلم أن التمييز هنا يتوقف على الإعراب بل يتأتى أن تقول ما صام وما اعتكف" و "ما صام معتكفا".و "ما صام وقد اعتكف". وبعضهم أجاب بأن وضع الماضي باعتبار نطق العرب غير قابل للإعراب. فلا يغير عما نطقوا به. وهذا حكم يلتبس لتوجيه ما نطقت به العرب تثبيتاً للقواعد. فيكتفي فيها بأدنى مناسبة فلا تقوى على هذا التدفيق. فإن قيل يرد على قولكم أن

المضارع يستحق الإعراب بناؤه إذا اتصلت بـه نـون التوكيد أو نـون النسوة فإنَّه يبنـى مع الأول على الفتح ومنع الثانية على السكون مع أن موجب الإعراب موجود فيه. فالجواب أنه إنما يبنى مع النونين لأنهما من خواص الأفعال. فبعد شبهه بالأسماء رجع إلى أصله وهو البناء. فإن قيل لم يبنى مع نون التوكيد على حركة، وكانت الحركة فتحة. ومع نون النسوة على السكون؟ فالجواب أنه إنما بني مع نون التوكيد على حركة مع أن الأصل أن يسكن لأنه لما كان مستحق الإعراب بنوه على حركة للإشارة إلى أن بناءَه طارئ وأن له أصلا في الإعراب وكانت الحركة فتحة للخفة لأنه حصل له ثقل بسبب تركيبه مع نون التوكيد. وإنما بني على السكون مع نون النسوة لأن الأصل في المبني أن يسكن. وما جاء على أصله لا يسأل عنه. وبعضهم قال إنه يستحق البناء على حركة لا على السكون لأن له أصلا في الإعراب. فيحتاج بناؤه على السكون إلى حكمة فيقال حملا على الماضي إذا اتصل به الضمير نحو "النسوة ضربن". فإن قيل: لم بني "جاء" على حركة مع أن الأصل في المبني أن يسكن؟ ولم كانت الحركة فتحة؟ فالجواب أنه إنما بني على حركة لأنه أشبه المضارع في وقوعه صفة وصلة وخبراً وحالا. تقول: مررت برجل يضرب وبرجل ضرب. وجاء الذي يضرب والذي ضرب. وزيد يضرب وزيد ضرب. وجاء زيد يضحك وجاء زيد قد ضحك. فلما اشبه المضارع في وقوعه فيما ذكر بني على حركة لأن المضارع معرب. والأصل في الإعراب الحركة. وإنما كانت الحركة فتحة للخفة لأن الفعل ثقيل فناسبه التخفيف. والفتحة أخف الحركات. فإن قيل لم كان الفعل ثقيلا؟ فالجواب أنه إنما ثقل بسبب تركب معناه لأنه موضوع للحدث والزمان.

فإن قيل ما وزن "جاء"؟ فالجواب أن أصلها جاي لأنه من المجيئ. فالجيم فاء الكلمة والألف عينها والهمزة لامها. فإن قيل ما أصل عين الكلمة أعني الألف؟ فالجواب أن أصلها ياء لأنه من المجيئ. فأصله جيئ بفتح الجيم والياء. تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار "جاء".

فإن قيل ماذا يسمى هذا الفعل عند الصرفيين؟ فالجواب أنه يسمى أجوفاً وذا الثلاثة لأنه معتل العين. وذلك لأن الصرفيين قسموا الفعل إلى سالم وغير سالم. ويعنون بالسالم ما سلمت حروفه الأصلية التي تقابل بالفاء والعين واللام من الهمزة والتضعيف ومن حروف العلة كضرب ونصر وعلم. فإن كل واحد منها يسمى سالما. وغير السالم إما مهموز الفاء أو العين أو اللام نحو أمر وسأل وقرأ وإما مضاعف. وهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد كردد وإما معتل. وهو ما كان أحد أصوله حرف علة. والمعتل من حيث هو سواء كان في الأسماء والأفعال سبعة أقسام: الأول معتل العين ويسمى مثالا لمماثلته الصحيح في احتمال الحركات. وذلك نحو وعد. فالواو مفتوحة في المبني للمعلوم. فهي حرف علة محتملة للحركة كنصر ونُصر بالبناء للفاعل والمفعول. والثاني معتل العين ويسمى أجوف لخلو جوفه عن حروف الصحيح. ويقال له ذو الثلاثة لكون ماضيه على ثلاثة أحرف مع الضمير إذا أخبرت به عن نفسك نحو قلت وبعت وجئت. فالثلاثي المجرد من هذا القسم تقلب عينه في الماضي المبني للفاعل ألفا سواء كان واويا أو يائياً لتحركها وانفتاح ما قبلها نحو صان وجاء وباع. والأصل صون بفتح الواو وجيَأ بفتح الياء وكذا بيع فقلبت الواو والياء لتحركهما وانفتاح ما قبلهما. وذلك لأن كلا منهما كحركتين لأن الحركات أبعاض هذه الحروف. ولما كانتا متحركتين وكان ما قبلهما مفتوحا كان ذلك بمنزلة أربع حركات متوالية.

وذلك ثقيل عندهم. فقلبوها بأخف الحروف وهو الألف. وهذا قياس مطرد. والعلة رفع الثقل. وعلمنا به بالاستقراء. فإن اتصل بالماضي المجرد المبني للفاعل ضمير المتكلم أو المخاطب أو ضمير جمع المؤنث نقل فعل مفتوح العين الواوي كصان وقال إلى فعل مضموم العين. ونقل فعل مفتوح العين اليائي كباع وجاء إلى فعل مكسور العين دلالة عليهما لأنهما يحذفان: تقول صنت وقلت وبعت. فالأصل صونت وقولت بفتح الواو ونقل إلى باب فعل بالضم ثم نقلت الضمة إلى ما قبلها بعد حذف حركتها ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين. وأصل بعت وجئت بَيَعت وجَيَئت بفتح الياء فيهما. نقل إلى باب فعل بالكسر ثم الكسرة إلى ما قبلها بعد حذف حركتهما ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين. ولم يغير يفعُل مضموم العين ولا فعل مكسورها إذا كانا أصلين نحو طوُل بضم الواو وهيب بكسر الياء وخوف بكسر الواو. والثالث المعتل اللام ويسمى الناقص لنقصان حرف منه حالة الجزم أو لنقص الحركة حالة الرفع. ويسمى ذا الأربعة لكون ماضيه على أربعة أحرف مع الضمير إذا أخبرت به عن نفسك. وذلك نحو غزى ورمى. والأصل غزي ورمي تحركت الواو والياء. تقول مع الضمير غزوت ورميت فترد كلا لأصله. والرابع المعتل العين واللام ويسمى لفيفاً مقروناً؛ سمي لفيفاً لأن حرفي العلة اجتمعا فيه ومقرونا لاقترانهما نحو شوى بفتح الواو وقلب يائه وهي لام الكلمة ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقوي بكسر الواو وروي بكسر الواو من الروي وبفتحها من الرواية. والخامس المعتل الفاء واللام ويسمى لفيفا مفروقا لافتراق حرفي العلة فيه نحو وقى على وزن رمى. والسادس المعتل الفاء والعين. وهذا لم يوجد في الأفعال. وإنما وجد في الأسماء كبين ويوم وبل. والسابع المعتل الفاء والعين واللام. وهذا أيضاً لم يوجد في الأفعال بل في

الأسماء وذلك نحو واو وياء لا سمي الحرفين. (فإن قيل) هذا الفعل أعني "جاء" من أي الأبواب عند الصرفيين؟ (قلت) إنه من الباب الثاني أعني فعل بالفتح يفعل بالكسر كضرب يضرب. وذلك لأن الصرفيين حصروا الفعل الثلاثي في ستة أبواب. الباب الأول فعل يفعل بفتح العين وضمها في المضارع كنصر ينصر. والباب الثاني فعل يفعل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع كضرب يضرب. والباب الثالث فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمضارع كسأل يسأل. والباب الرابع فعل يفعَل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كفرح يفرح وعلم يعلم. والباب الخامس فعل يفعل بضم العين في الماضي والمضارع كحسن يحسن. والباب السادس فعل يفعل بكسر العين في الماضي والمشارع كحسب يحسب ووثق يثق حيث كان جاء من الباب الثاني يرد عليه ما ذكره الصرفيون من أن صيغة فعَل بفتح العين في الماضي إذا كان عين الفعل التي هي صيغته أو لامه من حروف الحلق يكون من الباب الثالث كسأل يسأل ومنع يمنع وجاء لامه حرف حلق فلم يكن كذلك لأن الذي ذكره الصرفيون هو اشتراط كون الباب الثالث عينه أو لامه حرف حلق لأنهم اشترطوا أن كل ما كانت عينه (حرف حلق) يكون من الباب الثالث. بل تارة يكون منه كسأل ومنع وتارة يكون من الباب الأول كدخل يدخل وتارة يكون من الباب الثاني كنحت ينحت وجاء يجيئ. والحاصل أنه متى وجد الباب الثالث وجد حرف الحلق. ولايلزم من وجود حرف الحلق. وجود الباب الثالث. فيلزم من وجود المشروط وجود الشرط ولايلزم من وجود الشرط وجود المشروط. وحروف الحلق هي الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين. وقد وجد الباب الثالث من غير أن تكون العين واللام حرف حلق. وذلك نحو أبى يأبى. فالجواب أن ذلك شاذ مخالف للقياس

سماعي يحفظ ولا يقاس عليه. فإن قيل كيف يكون شاذا وهو في أفصح الكلام. قال الله تعالى: "وَيَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ"..(التوبة، آية ٣٢)؟ فالجواب أن كونه شاذا لا ينافي وقوعه في كلام الله تعالى، فإن الشاذ لا يكون مردودا إلا إذا خالف القياس الاستعمالي كعودة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. وأما إذا خالف القياس دون الاستعمال كما هنا فإنه مقبول.

فإن قيل من أي شئ مشتق "جاء"؟ فالجواب أنه مشتق من المصدر على الصحيح عند البصريين. وهو المجيئ. فإن قيل ما حقيقة الاشتقاق؟ فالجواب أنهم عرفوه بقولهم أن تجد لفظين تناسبا في اللفظ والمعنى. فإن قيل فما يسمى اشتقاق "جاء" من المجي؟ فالجواب أنه يسمى اشتقاقا صغيراً لأن بين المجيئ وجاء تناسبا في الحروف والترتيب. وذلك لأنهم قسموا الاشتقاق ثلاثة أنواع: صغير وهو أن يكون بينهما تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب وكبير وهو أن يكون بينهما تناسب في اللفظ دون الترتيب. وذلك نحو جذب من الجذب وأكبر. وهو أن يكون بينهما تناسب في المخرج نحو نعق من النهيق.

فإن قيل هذا الفعل أعني "جاء" لازم أو متعد وما الفرق بينهما؟ فالجواب أنه فعل متعد. والفرق بين اللازم والمتعدي أن اللازم لا ينصب المفعول به بنفسه نحو مررت بزيد بخلاف المتعدي نحو ضرب زيد عمرا، وعلامة الفعل المتعدي أن تتصل به هاء غير المصدر نحو ضربته بخلاف اللازم فإنه لا تتصل به هاء غير المصدر نحو مررت بزيد. فلا تتعدي إلا بواسطة حرف جر. ولا يصل إلى هاء غير المصدر إلا بحرف الجر أيضاً نحو زيد مررت به. والتقييد بهاء غير المصدر للاحتراز عن هاء المصدر. فإنها

تتصل باللازم والمتعدي نحو المرور مررته والضرب ضربته. فإن قيل ما الدليل على أن "جاء" متعد؟ فالجواب أن الدليل على ذلك نصبه لمفعول به. قال الله تعالى: "إذا جاءك المنافقون (المنافقون، الآية ١)" فالكاف مفعول مبني على الفتح في محل النصب. والمنافقون فاعل مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم.

فإن قيل ما حقيقة الفعل الماضي؟ فالجواب أنه كلمة دلت على معنى في نفسها. وهو الحدث واقتران ذلك الحدث بالزمن الماضي يدل على الحدث والزمن مطابقة وعلى أحدهما تضمنا وعلى الفاعل التزاما. فإن قيل فما علامته؟ وما حكمه؟ فالجواب أن علامته قبول تاء التأنيث الساكنة وقبول تاء الفاعل نحو جاءت وجئت. وحكمه البناء على الفتح لفظا كما مر تقديرا. وذلك إذا اتصل به ضمير رفع متحرك فإنه يسكن كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة لأن الفعل والفاعل كشئ واحد. وذلك نحو ضربت فيكون مقدرا. فإن قيل إن "جاء" إذا أسند للضمير لا يظهر فيه توالي أربع متحركات بل ثلاثة، فالجواب أنه فيه أربع متحركات باعتبار الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين لأن المحذوفة لعلة كالثابت لأن أصله جَيَئَت بفتح الجيم والياء. حول إلى باب فعِل بالكسر كما مر توصلا إلى نقل حركة الياء وحذفها. ثم نقلت حركة الياء إلى الجيم بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين. فباعتبار الياء المحذوفة يقال إنه لو لم يسكن آخره لاجتمع فيه أربع متحركات. فإن قيل فما الفرق بين الفعل الماضي واسم الفعل الماضي مع أن كلا يستفاد منه حدث في الزمان الماضي نحو بعد وهيهات؟ فالجواب أن اسم الفعل موضوع ليدل على لفظ الفعل ولفظ الفعل يدل على الحدث. فدلالة اسم الفعل على الحدث بالواسطة بخلاف الفعل. فإنه موضوع ليدل على الحدث

والزمان بنفسه بلا واسطة شئ آخر. وأيضاً اسم الفعل لا يقبل علامات الفعل وإلا كان فعلا.

فإن قيل ما هذا المد الموجود في قولك جآء"؟ فالجواب أنه متصل. وذلك لأن القراء قسموا المد إلى طبيعي وغير طبيعي. فالطبيعي ما كان بقدر ألف وذلك قدر حركتين. وذلك في الألف والواو والياء التي ليس بعدها همزة ولا ساكن نحو "الفتى" و "يدعو" "القاضي". وغير الطبيعي قسموه إلى لازم و واجب وجائز فاللازم هو الذي يجئ في كلمته أو في كلمتيه بعد حرف المد حرف ساكن وصلا و وقفا. فيمد بقدر ألفين زيادة على المد الطبيعي فيكون بقدر ست حركات. وذلك نحو "دابة" و"ن" و "الآن". وسمي لازما للرومة عند جميع القراء. والواجب هو الذي يجيئ في كلمته بعد حرف المد همزة. ويكونان من كلمته. ويسمى متصلا نحو جاء وبالسوء وسئ. فإن كانا من كلمتين سمي منفصلا نحو "موسى أمر" و "القاضي أمر". وقولوا آمنا". وحكم المتصل أن يمد وجوباً زيادة على المد الطبيعي. واختلفوا في قدر ذلك. فقال أبو عمرو وقالون وابن كثير: مقدار ألف ونصف. وقيل ألف وربع. والمراد أن ذلك قدره باعتبار المد الطبيعي وما زيد عليه. وعند ابن عامر والكسائي مقدار ألفين. وعند عاصم مقدار ألفين ونصف. وعند حمزة وورش مقدار ثلاث ألفات. وهذه طريقة التيسير. وطريقة الشاطبية ليس فيها الأمر. ثبت أن "الآن" يمد بقدر أربع حركات وست حركات. فالأربع بمقدار ألفين وليست بقدر ثلاث ألفات. والمنفصل يجري فيه جميع ذلك إلا أن الزيادة فيه على الطبيعي جائزة لا واجبة. وبقي قسم آخر وهو الوقف العارض نحو نستعين. فيجوز مده إلى ست حركات. فإن قيل ما مد زيد؟ فالجواب أن بعض القراء أجاز أن يعامل حرف اللين معاملة حرف المد. فإذا وقع بعده ساكن لوقف

نحو "وآمنهم من خوف". وجاء زيد يجوز المد والقصر والتوسط. وكذا إذا وقع بعده ساكن الادغام نحو كيف فعل. وحرف اللين هو الواو والياء إذا سكنا وانفتح ما قبلهما بحركة مجانسة لهما.

فإن قيل ما معنى الفاعل؟ فالجواب أن الفاعل في اللغة من أوجد الفعل. وفي اصطلاح النحويين هو الإسم المرفوع الذي أسند لفظ الفعل إليه باعتبار صدور حدث ذلك الفعل من مدلوله كضرب زيد أو باعتبار قيامه به كمات زيد. فإن قيل ما سبب كون الفاعل مرفوعا؟ فالجواب أن الفاعل صدر الفعل من مدلوله وهو أشرف ممن وقع عليه الفعل. والرفع أشرف من غيره. فأعطى الأشرف للأشرف طلباً للمناسبة؟ فإن قيل هل الفاعل أصل المرفوعات أو المبتدأ؟ فالجواب أن في ذلك خلافاً. فمنهم من قال إن الفاعل أصل لأن عامله لفظي. وهو أقوى من غيره. والمبتدأ عامله معنوي. ومنهم من قال إن المبتدأ أصل لأنه متقدم ويهتم به. فإن قيل ما فائدة الخلاف؟ فالجواب أن فائدته ترجيح أحد الأمرين عند تعارض إعرابين في كلمة بأن احتملت كونها فاعلاً ومبتدأ وخلت عن المرجحات. فإن قلنا الفاعل أصل فجعلها فاعلاً أرجح. وإن قلنا المبتدأ أصل فجعلها مبتدأ أرجح. وقد قيل بمثل ذلك في قوله تعالى: "لَيَقُولُنَّ اللَّه" (الزخرف، الآية ٨٧) التقدير: "خلقنا الله" فإن قيل ما حقيقة الرفع؟ فالجواب أنه على القول بأن الإعراب لفظي هو الضمة وما ناب عنها. فإن قيل قولكم "علامة رفعه الضمة" هل هذا على القول بأن الإعراب لفظي أو معنوي؟ فالجواب أن الظاهر أنه على القول بأنه معنوي. ولو أريد الجري على القول بأنه لفظي لقيل ورفعه كذا. فإن قيل هل يصح تخريجه على القول بأنه لفظي؟ فالجواب أن بعضهم أجاز ذلك. قال

"ووجهه أن الضمة إعراب من حيث كونها أثراً جلبه العامل. وعلامة إعرابه من حيث خصوصه".

فإن قيل زيد هذا الفاعل هل هو نكرة أو معرفة؟ وما الفرق؟ فالجواب أنه معرفة. والفرق بينهما أن المعرفة ما وضع لشئ بعينه لا يتناول غيره. والنكرة ما وضعت لشئ شائع يصح صدقه على أفراد. وعلامة النكرة قبول "أل" ووقوعها موقع ما يقابله. فالأول نحو رجل. والثاني نحو ذي بمعنى صاحب. والمعرفة بخلاف ذلك. ومعلوم أن زيدا موضوع للذات المعنية. ولا يقبل "أل" فصح كونه معرفة. فإن قيل زيد من أي أنواع المعارف؟ فالجواب أن علم الشخص ما وضع لمشخص ذهنا وخارجا كزيد وعلم الجنس ما وضع للحقيقة والماهية المستحضرة في الذهن بقيد الاستحضار. وإن كان يصدق على كل فرد من أفراده. وذلك كأسامة فإنه موضوع لحقيقة الحيوان المفترس بقيد استحضاره. ويطلق على كل فرد من أفراده. فإن قيل فما الفرق بين هذين أعني علم الجنس وعلم الشخص وبين اسم الجنس كأسد؟ فالجواب أن الفرق بينهما اعتباري يتحققان في نحو رجل وأسد. فمن حيث وضعهما للحقيقة والماهية يسميان اسمي جنس ومن حيث صدقهما على الفرد يسميان نكرتين. وتحقيق الكلام على "جاء زيد" من حيث الوضع سيأتي في آخر المبحث إن شاء الله تعالى.

فإن قيل زيد هل هو من قبيل الأعلام المنقولة أو المرتجلة؟ وما الفرق بينهما؟ فالجواب أنه علم منقول من المصدرية لأنه مصدر زاد يزيد. والفرق بين المنقول والمرتجل أن المنقول ما سبق فيه استعمال قبل العلمية في غير العلمية كفضل وأسد. والمرتجل ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها

كسعاد وأد. فإن قيل هل يجوز دخول "أل" على زيد؟ فالجواب أنه لا يجوز لأن الأعلام لا يدخل عليها "أل". فإن قيل إن بعض الأعلام قد دخلها "أل" كالفضل والحارث. فهلا كان زيد من هذا القبيل؟ فالجواب أن "أل" في الفضل والحارث زائدة للمح الأصل أي للإشارة إلى ملاحظة الأصل المنقول عنه. وهو مع ذلك سماعي يقتصر فيه على ما سمع من العرب. فلا يجوز ذلك في زيد. فإن قيل مجموع "جاء زيد" ماذا يسميه النحويون؟ فالجواب أنه يسمى جملة. فإن قيل ما حقيقة الجملة؟ فالجواب أن الجملة ما تركبت من فعل ومرفوعه أو من مبتدأ وخبره. والأولى تسمى فعلية والثانية تسمى اسمية. وأما الظرف والجار والمجرور فيحتمل تقدير متعلقهما اسما وفعلا. فلذلك يسميان شبه جملة. وضابط الاسمية ما صدرت باسم والفعلية ما صدرت بفعل.

فإن قيل ما يحتاج إليه كل مركب؟ فالجواب أن كل مركب يحتاج إلى علل أربع مادية وهي أجزاؤه وعلة فاعلية وهي الفاعل المركب وعلة صورية وهي الحاصلة بعد التركيب وعلة غائية وهي ثمرته ونتيجته المترتبة عليه كالجلوس على السرير مثلا وكأفادة الكلام.

فإن قيل هل الجملة أعني "جاء زيد" صغرى أو كبرى؟ وما الفرق بينهما؟ فالجواب أنها لا صغرى ولا كبرى. وذلك لأن النحويين جعلوا الصغرى ما وقعت خبرا عن غيرها كقام أبوه من قولك زيد قام أبوه. والكبرى ما كان خبرها جملة كزيد قام أبوه بتمامها. والتي لا صغرى ولا كبرى ما خلت عن الأمرين كجاء زيد وزيد قائم. وقد تكون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين. وقد اجتمعت الأقسام كلها في قول ابن مالك "وكلمة بها كلام قد يؤم". الجميع

جملة كبرى فقط لأن المبتدأ فيها خبر جملة. وجملة قوله "قد يؤم" صغرى فقط لأنها وقعت خبرا عن غيرها. وجملة قوله "كلام قد يؤم" كبرى باعتبار أن المبتدأ فيها خبره جملة، وصغرى باعتبار وقوعها خبرا عن غيرها. فإن قيل هل جملة "جاء زيد" لها محل من الإعراب؟ فالجواب أنها لا محل لها من الإعراب لأنها جملة ابتدائية أي مستأنفة من المفرد. والفرق بين ما لا محل له وما له محل هو أن ما حل محل المفرد له محل من الإعراب. وما لم يحل محل المفرد لا محل له. وجاء زيد من هذا القبيل. وذلك لأن النحويين جعلوا ما يحل محل المفرد سبعة أقسام وما لا يحل سبعة. فإذا نظرت إلى "جاء زيد" تجده من السبعة التي لا تحل محل المفرد. وقد نظم بعضهم تلك المواضع الأربعة عشر في قوله:

جمل أتت ولها محل يعرب ... سبع لأن حلت محل المفرد
خبرية حالية محكية ... وكذا المضاف لها بغير تردد
وجواب شرط جازم بالفاء أو ... بإذا وبعض قال غير مقيد
ومعلق عنها وتابعة لما ... هو معرب وذو محل فاعدد
وأتتك سبع ما لها من موضع ... صلة وعارضة وجملة مبتدي
وجواب أقسام وما قد فسرت ... في أشهر والخلف غير مبعد
وبقيد تخصيص وبعد معلق ... لا جازم وجواب ذلك أورد
وكذاك تابعة لشئ ماله ... من موضع فاحفظه غير مفند

وينبغي التمثيل لذلك تتميما للفائدة. فأمثلة الجمل التي لا محل لها من الإعراب الخبرية نحو زيد أبوه قائم والحالية نحو جاء زيد والشمس طالعة. والمحكية بالقول نحو: "قال إني عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكتابَ"

(مريم، الآية ٣٠) والمضاف إليها نحو: "إذا جاء نصر الله (النصر، الآية ١)" والواقعة جواباً لشرط جازم مقرون بالفاء نحو: "وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (البقرة، الآية ٢١٥)" وبإذا نحو: "وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" (الروم، الآية ٣٦) والمعلق عنها نحو علمت لزيد قائم والتابعة للمعرب نحو: "واتّقوا يَوْماً تُرْجَعُون فيه إلى الله (البقرة، الآية ٢٨١)" والتابعة لجملة لها محل من الإعراب نحو: "زيد قام أبوه وقعد أخوه" فجملة "قعد أخوه" محلها الرفع إذا كانت معطوفة على الكبرى. وأمثلة الجمل التي لا محل لها من الإعراب الصلة نحو "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب (الكهف، الآية ١)" والمعترضة نحو "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار (البقرة، الآية ٢٤)". فجملة ولن تفعلوا معترضة بين الشرط والجزاء. والجملة الابتدائية نحو "إنا أنزلناه" والمفسرة نحو قوله تعالى: "كمثل آدم خلقه من تراب (آل عمران، الآية ٥٩)". فجملة "خلقه من تراب" تفسير لمثل. والمشهور أنه لا فرق بين أن تفسر ماله حظ من الإعراب أو ما لا حظ له نحو زيد ضربته. وقيل إن فسرت ماله محل فلا محل (لها). وإلا فهي تابعة لما تفسره. وإلى هذا أشار بقوله "في أشهر" إلى آخره. وأما المفسرة لضمير الشأن فلها محل نحو إنه زيد قائم. فالجملة في محل رفع خبر أن ومفسرة لضمير الشأن والواقعة جواباً لمعلق أي لشرط غير جازم نحو: "إذا جاء زيد فأكرمه". ونحو "إذا دعاكم دعوةً من الأرض إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُون (الروم، الآية ٢٥)". ومثلهما ما وقعت جواباً لشرط جازم ولم تقترن بالفاء نحو إن جاء زيد أكرمته. فإن لفظ الفعل محكوم عليه بأنه في محل جزم جواب الشرط. والجملة لا محل لها. فجملة قعد عمر معطوفة على جملة قام زيد. وجملة قام زيد ابتدائية لا محل لها، فكذلك ما عطف عليها.

فإن قيل هل جملة "جاء زيد" إنشائية أم خبرية؟ وما الفرق بينهما؟ فالجواب أنها خبرية لأن الخبرية هي منسوبة للخبر. وهو الكلام المحتمل للصدق والكذب. وعرفوه بأنه ما حصل مدلوله خارجاً وكان لفظه حكاية عنه كجاء زيد وزيد قائم. والإنشاء ما حصل مدلوله به كاضرب زيدا.

فإن قيل هل الاستناد في " جاء زيد" حقيقي أو مجازي. وما الفرق بينهما؟ فالجواب أنه استناد حقيقي. والفرق بينه وبين الاستناد المجازي أن الاستناد الحقيقي إسناد الشئ إلى من هو له كأنبت الله البقل ويسمى حقيقة عقيلة. والإسناد المجازي إسناد الشئ إلى غير ما هو له لملابسة بينهما كأنبت الربيع البقل. ويسمى مجازا عقليا. فإسناد الإنبات إلى الربيع هنا مجاز عقلي لأنه السبب العادي. فإن قيل استعمال كل من "جاء" و "زيد" هنا هل هو حقيقة أو مجاز؟ وما الفرق بينهما؟ فالجواب أن كلا منهما حقيقة. والفرق بينهما وبين المجاز أن الحقيقة استعمال الكلمة فيما وضعت له كاستعمال الصلاة في الدعاء عند اللغويين وكاستعمال الأسد في الحيوان المفترس. والمجاز استعمال الكلمة في غير ما وضعت لها مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي كاستعمال الصلاة في الأقوال والأفعال بالنظر إلى اللغويين والأسد في الرجل الشجاع. فإن العلاقة فيه الجزئية. وإن كانت لغير ذلك يسمى استعارة كما في المثال الثاني. ولا شك أن "جاء زيد" لفظان مستعملان في حقيقتهما.

فإن قيل جملة "جاء زيد" من أي القضايا؟ وما معنى القضية؟ فالجواب أنها قضية شخصية. وذلك لأن القضية هي الخبر. وهو لفظ محتمل للصدق والكذب لذاته. وقد قسم المناطقة القضية إلى قضية شخصية وكلية وجزئية

ومهملة وطبيعية. فالشخصية هي ما كان الموضوع فيها مسورا بالسور الكلي كقولك: "كل إنسان حيوان" والجزئية هي ما كان الموضوع مسورا بالسور الجزئي نحو "بعض الحيوان إنسان". والمهملة ما كان الموضوع فيها كليا وخلت عن السور الكلي والجزئي نحو "الإنسان حيوان". والطبيعية ما كان الموضوع فيها هو الحقيقة الطبيعية نحو الرجل خير من المرأة. والموضوع هو المحكوم عليه ويسمى مسندا إليه عند علماء المعاني ومبتدأ وفاعلا أو نائباً عند النحاة. والمحمول هو المحكوم به ويسمى مسندا عند علماء البيان وخبرا أو فعلا عند النحاة.

فإن قيل وضع زيد للذات الشخصية من أي الأوضاع؟ فالجواب أنه من قبيل الوضع الخاص لموضوع له خآص. وذلك لأن علماء الوضع قسموا الوضع إلى أربعة أقسام: وضع خآص لموضوع له خآص وآلة الوضع جزئية وذلك فيما إذا كان الوضع لمشخص معين باعتبار متعلقه وإدراكه بخصوصه كما في الأعلام الشخصية كزيد وعمر ووضع خآص لموضوع له خآص وآلة الوضع كلية. وذلك فيما إذا كان الوضع لمشخصات باعتبار تعلقها لا بخصوصها بل لأمر عآم. وذلك كأسماء الإشارة والموصولات ووضع عآم لموضوع له عآم وآلة الوضع كلية. وذلك فيما إذا كان الوضع لأمر كلي باعتبار تعلقه بملاحظة عمومه كما في الحيوان. والقسم الرابع حكموا باستحالته وهو ما كان الوضع فيه خآصا والموضوع له عاما. وصورته أن يكون الوضع الكلي باعتبار تعلقه بخصوص بعض أفراده. فهذا القسم مستحيل الوجود كما هو مبين في محله.

فإن قيل قد علم وضع "زيد" فينبغي أن يعلم وضع "جاء" من أي الأوضاع. ووضع مجموعهما من أي الأوضاع أيضاً؟ فالجواب أن ذلك من قبيل الوضع النوعي. وما تقدم من الأقسام الأربعة من قبيل الوضع الشخصي. وذلك لأن الوضع النوعي هو ما لا يتعين فيه اللفظ الموضوع بأن وضع مندرجا تحت ضابط كلي كقول الواضع: وضعت كل لفظ على هيئة كذا ليدل على كذا. وقسموا النوعين باعتبار تشخص المعنى وعموم الوضع وخصوصه إلى ثلاثة أقسام: أحدهما ما تعقل الواضع فيه المعنى الموضوع له أصلا بأن لا حظ صيغته التي هي فعل مثلا وقال وضعت كلما صح تركبه من فعَل محرك الوسط للدلالة على الصيغة الثلاثية الماضوية فيكون كل مركب من تلك الحروف المذكورة علما على هذه الصيغة. فهو وضع نوعي خاص لموضوع له خاص. ثانيها ما تعقل الواضع فيه الموضوع له عاما كالمركب الخبري كقول الواضع: وضعت كل مركب خبري للدلالة على ثبوت شئ لشئ. وبهذا يعلم أن مجموع "جاء زيد" من هذا القبيل لأنه مركب خبري. وقيل المركبات ليست موضوعة بل دلالتها عقلية. وثالثها ما تعقل الواضع فيه الموضوع له بأمر عام مع كونه خاصا كوضع المشتقات باعتبار هيئتها كقوله وضعت كل فعل بهيئته للدلالة على جزء من جزئيات الحدث والزمان بعد ملاحظة الأمر العام. وهو مطلق الحدث والزمان ليوضع كل جزئي منهما فهو وضع نوعي عام لموضوع له خاص. قال بعض المحققين: وضع المشتقات باعتبار مادتها من قبيل الوضع العام لموضوع له عام. وقيل وضع المادة كلي نوعي. ووضع الهيئة نوعي أي وضع هيئة المشتق للدلالة على أفراده كهيئة فعل للدلالة على الزمان الماضي فيدخل تحته أفراد نحو كتب وذهب. وتمام الكلام على ذلك مبسوط في محله.

فإن قيل ما يسمى العروضيون "جاء زيد"؟ فالجواب أنهم يسمون "جاء" وتدا مفروقا لأنه ثلاثة أحرف أوسطها ساكن. ويسمون "زيد" مركبا من سببين خفيفين. وذلك لأنهم قالوا المتحرك قبل الساكن سبب خفيف كقد وقم. والحرفان المتحركان بأي حركة كانت سبب ثقيل نحو بك وله وبه. والحرفان المتحركان اللذان ثالثهما ساكن وتد مجموع نحو بهم وبكم ورمى وهدى. والحرفان المتحركان اللذان بينهما ساكن وتد مفروق نحو قام وجاء ولات. والثالثة الأحرف التي بعدها ساكن فاصلة صغرى كفعلن ورجعن بتحريك الجميع ما عدا الحرف الأخير. وقاعدة العروضيين أن يحسبوا التنوين بحرف ويكتبوه نونا. والأربع الأحرف التي بعدها ساكن فاصلة كبرى نحو فعلتن وسلككم. وقد مثل بعضهم للأقسام الستة بقوله: "لم أر على ظهر جبل سمكتن". وبعضهم "لم أر على قبح عمل حسنتن" وبعضهم بقوله "من يف بما قال رفعت درجتن".

فإن قيل هذا المركب أعني "جاء زيد" من أي المقولات باعتبار كونه مركبا وباعتبار مفرداته؟ فالجواب أن المركب خبر وقضية. وهي من مقولات الاضافة إن فسرت القضية بالنسبة. وإن فسرت باللفظ كانت من مقولات الكيف لأن اللفظ كيفية قائمة بالهواء. وأما المفردات فكل من "جاء" و"زيد" من مقولة الكيف أيضاً باعتبار كونهما لفظين. وأما باعتبار المدلول فيقال إن "زيد" من مقولة الجوهر. وأما "جاء" فباعتبار الحدث المفهوم منه من حيث حدث من مقولة الكيف لأن الحدث عرض قائم بالغير جزؤه الأخير هو. وباعتبار الزمان من حيث يجري فيه الخلاف الجاري في كون الزمان (من) أي المقولات؟ فقيل من مقولات الجوهر بناءا على أنه نفس الفلك. وقيل من مقولات الأين بناء على أن الحركة معدل النهار. وقيل من مقولات الكم بناءا

على أنه مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم كمقارنة مجيئ زيد لطلوع الشمس وإن اعتبرت الحدث باعتبار حصوله في الزمان يكون من مقولة الأين. وباعتبار الهيئة الحاصلة لزيد من حيث نسبة أجزائه بعضها إلى بعض بالقرب والبعد وباعتبار نسبتها إلى أمر آخر كالمجيئ من مقولة الوضع وباعتبار كون زيد مؤثراً فهي من مقولة الانفعال. فالحاصل أن الحكماء جعلوا المقولات عشرة أقسام جمعها بعضهم في قوله:

زيد الطويل الأزرق ابن مالك في بيته بالأمس كان متكئ
بيده غصن لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوا

فزيد إشارة إلى مقولة الجوهر والطويل إشارة مقولة الكم والأزرق إشارة إلى مقولة الكيف وابن مالك إشارة إلى مقولة الإضافة وفي بيته إشارة إلى مقولة الأين وبالأمس إشارة إلى متى و "كان متكئ" إشارة إلى الفعل "فالتوى" إشارة إلى الانفعال. وتمام الكلام على ذلك مبسوط في محله.

وفي هذا القدر كفاية. فإن القصد الإشارة إلى أطراف المباحث لأجل تذكير الطالب وحثه على التفتيش. وإلا فهذه المباحث المشار اليها تحتاج إلى بسط طويل. والذكي يفهم بالمثال الواحد ما لا يفهم الغبي بألف شاهد. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال جامعها: وكان الفراغ من جمعها في يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام ختام التاسع والستين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف. وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (١٢٦٩/١٢/٢٣هـ) [١]

---

[١] إن صح هذا التاريخ الموافق ١٨٥٣/٩/٢٦م استحالت نسبة كتابة هذا النص إلى الشيخ امباكي لأنه ولد بعد ذلك بحوالي عشر سنين. ولعله سهو من أحد الناقلين.

أجوبة في التصوف

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجوبة العالم العلامة والدراكة الفهامة، الشيخ الحاج امباكي البصوبي – رضي الله تعالى عنه وعنا ببركته.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه خيار الأنيم. أما بعد فانه سلام أسنى وتحية حسنى الى الولد الفآئق والمريد الصادق الذآئق، السيد موسى بن الشيخ الصالح عثمان، تاب علينا وعليهما الرحيم الرحمن يعني ما بعده أني رأيت براوتك وتأملت أسئلتك ففهمت منها علو همتك على فشو فتوتك فضحكت مرة وبكيت مرة. فالضحك لرؤيتي قبل مماتي من ينحو هذا النحو من شبان هذا الزمان الذين لعبت بهم الدنيا فتركت أفئدتهم هوآء، والبكآء لرفع هذه الأسئلة الى مثل هذا الحقير. وما ذاك الا لأفول أقمار الهدى وإقبال أسباب الردى. فلعمري لقد حق البكآء على سادات أموات. ولنا:

ذهب الذين عرفتهم فحببتهم وصحبتهم وبقي الذين نكرتهم فعزلتهم وتركتهم

أما قولك: "أن تبين لي هل يصح ويصدق للمريد تعلقه بشيخ بخدمة أو هدية بلا قوله: اسلمت مآدا يده اليه مبايعا أم لا.. " فالجواب – والله الموفق للصواب– نعم، لأن التعلق أمر قلبي يدل عليه القول وغيره من الأعمال البدنيات. فليس التلفظ بأي لفظ شرطا فيه حتى لايصح بدونه. وما جعل النطق بالشهادتين شرطا في صحة ايمان الكافر عند من قال به الا بالنسبة فيما بيننا وبينه. فلا ينكح ولا يورث قبله لا فيما بينه وبين الله تعالى، لأنا لا اطلاع لنا على القلب. فلذا من ولد في الاسلام فانما يجب عليه فقط وجوب

الفرائض مرة في عمره. فمن جعل في نفسه انسانا واسطة بينه وبين الله تعالى، فإن أعلمه بذلك وقبل له فقد تم تعلقه به سوآء في الإعلام والقبول القول والفعل. ألا ترى أن الفقهاء - عليهم الرضوان - قد أطبقوا على انعقاد البيع بكل ما يدل على الرضى وان بمعاطاة. وليس ثم دليل على التعلق أظهر من الخدمة والهدية لأنهما من سيما المتعلقين. فان شاركهم فيهما غيرهم فلهم فيها تميز معلوم. وكما لا يتعين التلفظ فلا يتعين أيضا خصوص لفظ "أسلمت" بل لو قال في هذا المقام: "التزمت طاعتك لله والانقياد اليك في كل ما تشير به من غير ارتياب ولاتأويل ولا تردد" أو قال: "بايعتك لله على السمع والطاعة في المنشط والمكره" كان كمن قال: "اسلمت نفسي اليك" في هذا المعنى اذ لا مشآحة في الاصطلاح. قد علم كل أناس مشربهم.

وأما مد اليد فان كان للمصافحة أو المشابكة بشئ ورآء ذلك فلأشياخ الطرق اصطلاحات في كيفتهما. وإن كان لغيرهما فعلى حسب إذن الشيخ فعلا أو تركا أو كيفية. والسلام.

وأما قولك: "هل للمريد أيضا أن يستغني بتعلقه بشيخه بعد وفاته من تجديد حبل الوصال للأشياخ الأحياء بعده إن لم ير من أمره كأمر شيخه حرفا بحرف أم لا؟" فالجواب - والله أعلم بالصواب- أن المريد الذي توفي شيخه إما أن يكون فطيما أو رضيعا. أما الفطيم فلو عاشت معه أمه لكان يأكل معها مما تأكل ويشرب مما تشرب فبا الأحروية إذا ماتت عنه. وأما الرضيع فلا بد له إما من ظئر عاجلا أو من هلاك آجلا. والمرء أدرى بنفسه. والله أعلم.

وأما قولك: "من اراد أن يأخذ ورد شيخنا الخديم بعده ولم يأخذه قبل منه، هل يكتفي بكون الورد في كتب القصائد لجميع المريدين فقط دون الاذن والتلقين ممن أذن أو لقن كما وجب علينا في أوراد غيره أم لا؟ ".

فالجواب – والله الموفق للصواب – الظاهر أنه لافرق بين الأوراد في الاحتياج الى الإذن من أربابها ولو تسلسل. ولاتؤخذ من بطون الكتب. بل العلم مطلقا إنما يؤخذ من أفواه الرجال لا من بطون الكتب لأنها اوعية للعلم فقط مقفلة والرجال مفاتيحها. ولذلك قالوا: "من أخذ العلم من بطون الكتب فان كان فقها غير الأحكام أو التصوف فرق الأسلام أو الطب قتل الأنام". فالإذن معتبر في العلوم الشرعية كلها. فلذلك تتافس العلمآء في الإجازات فتعيَّن في علوم القوم. ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. ومن لم تمده المشائخ فهو كالشجر البري لا يطعم الا طعاما قليلا ضعيفا. وقالوا لو أن رجلا جمع العلوم وصاحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ. ومن لم يأخذ أدبه من آمر له أوناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه فلا يجوز الاقتدآء به. ومن لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه. وكلامهم في هذا المعنى كثير لاحاجة لجلبه. والله أعلم.

وأما قولك: "ما تقول في تعلق العبد بشيخ دون سيده لصرف الزمن وتخصيص الشيخ: هل يجوز أكل هديته أو ترد الى سيده ولو لم يكن من المريدين؟".

فالجواب – وفقنا الله تعالى وإياك لما يرضاه على ما في هذه العبارات أن المرشد إذا كان صادقا يجوز له أو يتعين عليه ارشاد كل مسترشد صادق من الرجال والنسآء والأحرار والعبيد، لأنهم عبيد الله وإمآؤه يشملهم أمره ونهيه.

وهذا هو نآئب الشارع – صلى الله عليه وسلم – في نصيحة الخلق. والأصل في الهدايا جواز قبولها من متأهلها. والعبد مأذون له وغيره. فالمأذون له يجوز له التصرف فيما أذن له فيه. ولا كلام على الآبق والمتمرد لأنهما عاصيان في أنفسهما وفي أموالهما وفي سائر متعلقاتهما. فلا يخفى على أحد أمرهما. فالحذر الحذر منهما. وهذا كله إذا كانت الأشيآء على حقآئقها. وأما إذا كانت كلها أو أكثرها أسمآء بلا مسميات. فليس المسئول عنها بأعلم من السآئل. دع ما يريبك الى ما لا يريبك. فالبر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب. والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر. وإن أتاك المفتون وأفتوك.

ويوقف الأمور حتى يعلما ما الله فيهن به قد حكما

وأما قولك: "ما حقيقة ما يدعو وما يعتقد المريد الذي أراد أن يتعلق بشيخ وقت مديده ملقيا زمامه اليه بآئعا له لله والرسول ويريد الشيخ أن ينظمه في سلك الحقيقة ويسلكه في سلسلة الحق بلا انفصال. وأي ذكر وأمر وإذن أولى به في ذلك الوقت بعد التلقين ليطمئن قلبه؟ وأي دعآء ينوب عن اعطآء الهدية من المريد للشيخ؟ وكيف يدعى للشيخ الخديم؟ وما يدعى له بعد أن كان في دار الحق..؟

فالجواب – والله الموفق للصواب – أعلم أن الدعآء مطلوب في كل وقت وعلى كل حال، لأنه عبادة: "ادعوني أستجب لكم" (غافر، الآية ٦٠) ولا يحد بحد لا يتجاوزه. وإنما يكون بحسب الأغراض. ويجوز سؤال كل خير يمكن.

ويجوز وصل مقام السآئل اليه. ويختار لكل حال ما يناسبه. ولا شئ أنسب هنا من طلب الهداية الى الصراط المستقيم.

وأما ما يعتقده المريد في هذا الوقت فان كان بمعنى ما ينويه فهو الفرار من الخلق الى الحق بالاقتدآء بهذا الشيخ الذي اختاره واسطه بينه وبين الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأفعاله وأخلاقه ومراعاة أوامره ونواهيه وقبول اشاراته ومجانبة اعتراضاته راجيا من الله تعالى أن يخرجه من سجن الهوى ويدخل به على المولى: "فَفِرُّوا اِلَى اللَّه" (الذاريات، الآية ٥٠) "وأَنَّ اِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى" (النجم، الآية ٤٢) لأن الباعث الى صحبة العارفين هو ما تقرر من سنة الله تعالى الأزلية "وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّه تَبْدِيلا" (الأحزاب، الآية ٦٢) ألا يجد السبيل اليه إلا من قيض الله له استاذا عارفا بالله فيسوقه الى منهاج عبوديته ومشاهدة ربوبيته. ويكون واسطة بينه وبين الله تعالى ينهضه الى الله تعالى ويسير به اليه ويحاذيه حتى يلقيه بين يديه تعالى. ويقول هآ أنت وربك. وأما من لم تجر أفعاله على مراد غيره فلا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ. قال تعالى: "وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ اِلَىَّ" (لقمان، الآية ١٥) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَابْتَغُوا اليه الوسيلة" (المآئدة، الآية ٣٥) "يآ أيها الذينَ آمنوا اِتَّقُوا الله وكُونُوا مع الصادقين" (التوبة، الآية ١١٩) جعلنا الله وإياك ممن سبقت لهم من الله الحسنى آمين.

وأما مد اليد فقد تقدم. وأما الذكر والإذن الذي هو أولى به في ذلك الوقت فموكول الى نظر الشيخ السلك وحال السالك. وأما الدعآء والذي ينوي عن إعطآء الهدية.. فاعلم أن الدعآء من جملة الهدايا ومن أنفسها ويكون بدعآء

كل خير للشيخ ولو جزى الله عني فلانا خيرا لأن من قالها لمن أسدى اليه أي معروف ولو بلغ ما بلغ فقد كافأه وزاد عليه لأن مكافأة الله تعالى لا يوازيه عمل مخلوق.

وأما ما يدعى به لشيخنا الخديم – عليه رضوان المولى الكريم هنا وهناك فهو ما يدعى به للصالحين قبله من الرحمة والمغفرة والرضوان والاكرام وتقديس السر واعلاء المقامات ورفع الدرجات وسآئر أنواع الخيرات الدنيويات في الدنيا والأخرويات في الآخرة.

وأما ما رأيت من قوله – رضي الله عنه – "رب داع لي وهو يدعو علي" فالظن أنه من قبيل ما كان يواجهه به بعض الجهلة من مقالات ساقطة يظن لجهله أن يرضيه بها وهو في غاية الكراهية لها لكنه يغضي عنه لجهله. وذلك كثير الوقوع معه في أقوالهم وافعالهم وأحوالهم. وقد قاسى من شدآئد ذلك ما الله تعالى به أعلم. فالله تبارك وتعالى يجازيه عنا كل خير بما صبر وغفر وستر وحلم.

وأما قولك "وأيضا فلتبين لي كيف يزار له في ضريحه حقيقة الزيارة وما يعتقده زآئره في الزيارة.. " فلا حاجة هنا لسوق نص السؤال الى آخره لطوله ولدخول بعض الكلام في بعض. ولكن سوف يظهر معنى السؤال كله في الجواب – إن شاء الله تعالى. اعلم – وفقنا الله وإياك – أن للزيارة حكما ومقصودا وأدبا وممنوعات وأوقاتا وأدعية وحكايات الصالحين وأن المزور إما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أفضل كل مزور وزآئر. وقد أُفْرِدَتْ لزيارته – صلى الله عليه وسلم – تواليف لم تدع من متعلقاتها شيئا ولو قل. فعليك بالاعتناء بها، وإما ولي من أولياء الله تعالى وصالح من

الصالحين وإما من عوآم المؤمنين. والحكم في الجميع هو الندب للرجال والجواز للقواعد من النسآء اللاتي لا إرب للرجال فيهن. والحرمة للشوآب منهن. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم –: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. فانها تزهدكم في الدنيا وتذكركم الآخرة" [1]. وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "لعن الله زائدات القبور" [2]. قال بعض العلمآء: "هذا الحديث يحمل على الشوآب من النساء اللاتي يخشى من خروجهن الفتنة. وما ورد من الأمر بالزيارة يحمل على غيرهن. وقال العلمآء: "ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور ولاسيما اذا كانت قاسية وذلك لما فيه من مزيد الاعتبار والتأمل فيما صار اليه أمرهم. قالوا وما زال على ذلك أهل الفضل واليقين. والمقصود من الزيارة الاشتغال بالاعتبار والتأمل والتدبر في أحوال الآخرة ونفع الميت لأنه ينتفع بالدعآء له وبالصدقة والهدية وإن هدايا الأحيآء للأموات هي االدعآء والاستغفار. فأحسن ما يدعى للميت الدعآء بالمغفرة. والميت كالحي فيما يهدى اليه بل الميت أكثر، لأن الحي قد يستغل ما يهدى اليه والميت لا يستغل شيئا ولو وزن مثقال ذرة. ويعلمون بالزآئر متى جآء ويسمعون كلامه ويستأنسون به ويردون عليه السلام. ففي الحديث "إنك لا تتصدق على ميتك بصدقة إلا ويجيئ بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيجئ على رأس القبر ويقول: "أهلك، قد أهدوا اليك هذه الهدية فاقبلها" فيقول: "الله يجزي عني أهلي خير الجزاء". وفي الحديث "ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه الا استأنس به حتى يفوته، قيل إنه يراه إذا أتى حين اشرافه على القبر. وإذا قام يتبعه بالنظر حتى يغيب عن القبر. وفيه أيضا:

---

[1] رواه مسلم بدون زيادة قوله: "فانها تزهدكم إلخ"

[2] أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان.

"آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا" وفيه "الميت في قبره كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أخيه أو صديق له. فاذا لحقته كانت له خيرا من الدنيا وما فيها". وفي الحديث "إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه. وإذا مر بقبر لايعرفه فسلم عليه رد عليه السلام،وينتفع به إذا كان صالحا لأن كل من ينتفع به حيا ينتفع به ميتا فيتوسل له الى الله تعالى في العفو عنه وفي كل مآ أراد.

وآداب الزيارة أن يكون الزآئر متوضأ رجآءا لقبول دعآئه لنفسه وللميت على الوجه الأكمل. ويأتي المزور من قبل رجليه حتى يصل الى مقابلة وجهه مستقبلا لوجه الميت مع استدبار القبلة ثم يلقى السلام السني عليه. وإن كان وصاه أحد بابلاغ السلام فليقل: السلام عليك يا فلان من فلان ثم يقرأ أو يدعو وينصرف ويكون حين الدعآء جالسا أو واقفا مستقبل القبلة مستدبرا وجه الميت أو يجعل القبر أمامه أو على يمينه أو على يساره. ولايستدبر القبلة لأنه سوء أدب. وهذا في غير القبر الشريف فيستدبر القبلة [1] ويستقبل الوجه الشريف مسلما أو داعيا لأنه أشرف من كل مخلوق حتى القبلة. وإذا كان المزور وليا من أولياآء الله تعالى فليعلم أن الولي ناظر اليه فليفعل في الزيارة ما كان يفعل معه حيا إذ لا فرق بين الحياة والمماة في التأدب معه خاضعا وجلا من ذنوبه معتبرا حزينا. ولايشغل فكره بما لا يعني. وإذا جلس

---

[1] هذا خلاف ما عليه العمل هناك قديما وحديثا. وقد سبق للشيخ امباكي أن بين بصدد الحديث عن القبلة أن التوجه إليها في الصلاة يستند إلى أمر المولى تعالى لا إلى شرف المكان. ولم يذكر هنا أمرا لا من الله ولا من رسوله بالتوجه إلى القبر الشريف عند الدعاء أمامه. ولم يكن أصحاب النبي (ص) يستقبلون وجهه الشريف عند الدعاء في حياته.

بين يديه يجعل بينه وبين رأسه ذراعا الى ذراعين. وقيل القرب من الولي عند الزيارة يختلف باختلاف مقامات الزائرين ومقامات المزورين. ويتوسل به الى الله تعالى كما تقدم.

وممنوعات الزيارة هي الاشتغال بكل ما لا ينبغي الاشتغال به مما ينافي التدبر المطلوب كالأكل والضحك والتكلم بما لا يعني. وفي الحديث "زوروا القبور ولاتقولوا مجرا" أي قولا باطلا ولا يجوز الالتصاق بالقبر ولا تقبيله والتمسح به فانه من فعل النصاري ولا يصلى عليه تبركا لقوله - صلى الله عليه وسلم: "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيآئهم وصلحآئهم مساجدا" ولا يدور حوله فيكره ولا يرجع القهقرى عند الخروج لأن ذلك ايضا من فعل النصارى مع أصنامهم.

وأوقات الزيارة هي كل يوم وكل وقت من ليل أو نهار. قال في المختصر: "وزيارة القبور بلا حد بيوم معين. لكن أفضله عشية الخميس الى طلوع الشمس من يوم السبت. وبعضهم يلحق بليلة الاثنين ويومها لما ذكروا من أن الموتى يعلمون زوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده لأن الأرواح تنزل وتعرف ما يقال لها". ففي الحديث: "من زار أبويه كل يوم جمعة غفر له وكتب بآرا". وقال بعض العارفين: من اراد المخاطبة جزما في كل وقت فليقرأ "قل هو الله أحد" إحدى عشرة مرة والفاتحة مرة. ويجعل ذلك في صحيفة المزور. فلابد من حضوره ومخاطبته وعلمه به. فيتوسل به الى مولاه فيما أراد.

وأدعية الزيارة كثيرة. ويروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: "السلام عليكم يآ أهل الديار المؤمنين والمسلمين. يرحم الله المستقدمين

منكم والمستأخرين منا. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. أللهم ارزقنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم". واستحسن بعضهم أن يقول: "السلام عليكم يآ أهل القبور من المؤمنين والمسلمين أنتم سلف ونحن لكم تبع. كنتم كما كنا ونكون كما كنتم. فبارك الله لنا في اللحاق بكم ورحمنا وإياكم وغفر لنا ولكم". وورد أن من قال: "أللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما – يآ أرحم الراحمين" يكتب له بكل ميت دفن في تلك المقبرة حسنة. وفي رواية "استغفر له كل مؤمن مات من ولد آدم الى أن تقوم الساعة حسنات". وعن الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه قال: "إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد لأهل المقابر فانه يصل اليهم". وعن مولانا علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر عدد الأموات". ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة.

وأما الحكايات فيها للصالحين فشئ كثير. منها عن بعض الصالحين: "مررت على مقبرة كبيرة فقرأت قل هو الله أحد والمعوذتين وفاتحة الكتاب ثلاث مرات ثم أهديتها الى أموات المسلمين. وقلت في نفسي هل يصل الى كل واحد منهم نصيب من ذلك فأخذتني سنة من النوم فرأيت نورا ينزل من السمآء طبق الأرض أي ملأها وتقطع على كل قبر شئ منه وقآئل يقول لي: "هذا ثواب قرآءتك التي أهديتها". ومنها أن رجلا كان يختلف الى المقابر فيقول: " أمن الله روعتكم، أنس وحشتكم، رحم غربتكم، تقبل حسناتكم،

تجاوز الله عن سيئاتكم". لا يزيد على هذه الكلمات. فانصرف ذات يوم ولم يدع لهم. فلما كان الليل رآى في منامه خلقا كثيرا جآؤوه فقال: "من أنتم؟" فقالوا: "أهل المقابر". فقال: "وما حاجتكم؟" فقالوا: "إنك عودتنا منك هدية". قال: "وما هي؟" – قالوا: "الدعآء الذي كنت تدعو لنا" – قال: "فما تركت الدعآء بعد ذلك". ومنها عن الحسن البصري–رضي الله عنه–أن امرأة كانت تعذب في قبرها. وكل الناس يرون ذلك في المنام. ثم رؤيت بعد ذلك وهي في النعيم. فقيل لها ما سبب ذلك؟–فقالت: مر بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلى على النبي–صلى الله عليه وسلم–وأهدى ذلك لنا، وكان في المقبرة خمسمآئة وستون رجلا في العذاب فنودي أن ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي–صلى الله عليه وسلم" الى غير ذلك مما يطول جلبه.

وفي هذا كفاية لمن نور الله بصيرته وأهل لتلقي الأسرار سريرته. فانما الفوآئد في العقآئد. وإنما الأعمال بالنيات. أعاننا الله تعالى وإياك على رعاية ودآئعه وحفظ مآ أودعنا من شرآئعه آمين. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. وحرر ثاني الربيعين عام حمسش (١٣٤٨هـ/٥/٩/١٩٢٩م).

تقريظ العالم العلامة سيدي ابن المختار بن محمد بن أحمد العاقل – رضي الله عن الجميع وأفاض علينا من بركاتهم.

هذا جواب به وجه الصواب أضا ... وقول عدل إمام في العلوم رضى

بما قضى الله جل والرسول به ... عليه أزكى الصلاة والسلام قضى

قد ساقه خالصا لله محتسبا ... لا ينبغي عرضا به ولا عوضا

لاتعد عيناك عن بيضا محجته ... فالحق يمحق من لوجهه اعترضا

نصيحة لعشيرته الأقربين

بسم الله الرحمن الرحيم نخصك يا مولانا بالحمد والشكر. ونصلي ونسلم على من خصصته بشرح الصدر ورفع الذكر وعلى آله الشرفآء وأصحابه الحنفآء ما فاز امرؤ بأعمال الفكر. ثم نضرع إليك يا ربنا أن تجعلنا من الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولا تجعلنا يا مولانا ممن كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. آمين يا رب العالمين.

بني "بَـلّ" وابـن البنـت نجـل جنيـب ركضتـم بسـوق الفضـل كـل نجيـب [1]
فـلا بـرح العـافون ينحـون سـوحكم لجلـب مفيـد أو لدفـع كـروب [2]
يحبكـم عبـد لأفنـآء داركـم فيرتـاح إن فزتـم بخـير نصيـب [3]
ويحـزن إن عبتـم بـأدنى نقيصـة كمـا يـألف المحبـوب حـال حبيـب [4]
ألا فـانهضوا بـالخلق حين يرونكـم هـداة حمـاة الديـن دون مريـب [5]
وأرفـع للأقـران قـدرا وهمـة وأكـبر وأغنـاهم ليـوم خطـوب [6]

---

[1] يقصد الشاعر ببني "بل" أبناء الشيخ حبيب الله البكي وأبناء أبنائه. وقوله "وابن البنت نجل جنيب" جملة معترضة يقصد بها استثناء نفسه من مضمون الخطاب تواضعا ومشيراً إلى قول الشاعر العربي:

بنونـا بنـو أبنائنـا وبناتنـا بنوهـن أبنـاء الرجـال الأبـاعد

وقوله "ركضتم بسوق الفضل إلخ" يعني أن المخاطبين فاقوا في الفضائل أندادهم.

[2] لم يزل المحتاجون يقصدون دياركم لطلب العون منكم أو لدفع الضرر عنهم..

[3] يذهب التواضع بالشاعر إلى حد اعتبار نفسه عبدا للممدوحين وفيا يعكف بفناء دارهم مستعدا للخدمة ويسره أن يحظى سادته بالنصيب الأوفر من كل خير. ولعله يشير هنا إلى العادة الولفية التي تعتبر ابن العمة "عبدا" لأولاد خاله يخدمهم فيجودون عليه بالنوال ويُعترف له بحق انتقادهم إذا ظهر موجب لذلك.

[4] ويسوؤه أن يتطاول أحد بالطعن في سادته، شأن الحبيب المخلص الذي يتمنى أن يبرر حال محبوبه تعلقه به.

[5] يناشد القوم بأن يهبوا لهداية الناس والذب عن الدين في عزم وحزم لا يتطرق إليهما ريب..

[6] وأن يواظبوا على السعي لنيل المعالي بين أقرانهم ليبقوا أعلاهم قدرا وأنفعهم للناس حين تشتد الحاجة إليهم..

وأندى يدا منهم وألين جانب وأغلظ إن راموا حريم رقيب [٧]
الى الهمة العليآ الى السنة التي هي الغرض المرمي لكل مصيب [٨]
يشق على المسكين هدي أباعد بنور لكم جالي الظلام ثقوب [٩]
ويقعد بالأدنين عن شيم برقه حطام تعامت عنه عين لبيب [١٠]
فإن ترشدوا يرشد فئآم برشدكم وإن تعكسوا يفسد ألوف ضروب [١١]

كتبت (القصيدة) وعين السنة تدمع ولشأنها تجزع ولسانها يلفظ بياويلاه؛ آه من قلة أنصاره، آه حين ألجأتني ضرورة المجاورة وساقني شؤم القدر الى رؤية أشيآء كنت أرى أني أفارق الحياة ولا أراها حتى هيجني للبكاء مبكا ما

---

[٧] وأن تظل سيماهم الكرم ولين الجانب والعطف على الناس مع الشدة والغلظة على كل من تسول له نفسه التطاول على حرمات الله عملا بقوله تعالى "أَذِلَّة على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين"(المائدة، الآية ٥٤)وقوله"أَشِدّاءُ على الكفار رُحَمَاءُ بينهم"(الفتح،الآية ٢٩).

[٨] يدعوهم إلى علو الهمة والالتزام بالسنة المطهرة التي لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يرغب عنها إلا محروم من الهدى النبوي كما قال(ص):"فمن رغب عن سنتي فليس مني".

[٩] يشق ويشتد على الشاعر للقرابة وللأخوة الدينية والجوار أن يشغل نفسه بهدي الأجانب إلى الصراط المستقيم بعلم استفاده من قوم من عشيرة الممدوحين يكشف غياهب الظلام ويبددها..

[١٠] وأن يحول بينه وبين هداية الأقربين من قومه متاع الحياة الدنيا وزخارفها التي ليست إلا حطاماً لا تعوق أصحاب العقول السليمة والبصائر المستنيرة. وما أحسن استعمال الشاعر تعبير "تعامت عنه" لأنه يدل على أن أولى الألباب لا يغفلون عن أهمية الحياة الدنيا، ولكنهم يعرضون عما ليس بضروري منها إيثارا لما هو خير وأبقى.

[١١] إن تلزموا النهج السوي يقتد بكم عدد كبير من الناس لحسن ظنهم بكم وإن تنأوا عن الهدى تجروهم إلى الردي؛ فأنتم إذن أئمة الناس وقدوة الأنام. وتلك منزلة تلزمكم أن تربأوا بأنفسكم عن الفساد وتسلكوا سبيل الرشاد لكي تظلوا أسوة حسنة للعباد..

ليس هو بالحلال وإسراف بنفآئس الأموال ومخالطة الأجنبيات بالرجال وما ينشأ عنها من الوبال. ولا جرأ ولا زاجر ولا مذكر ولا منكر بين ظهراني قوم هم دعاة الحق وهداة الخلق ومتأهلوا إحيآء السنة الرفيعة وإماتة البدعة الشنيعة. يا عجبا لهذا التنافي. وايم الله لقد حدث في هذه الولائم الثلاث في عامنا هذا وبلدتنا هذه جرح إن لم يتلاقه متلاق ولا رقاه راق أو داواه شاف فلا يتناسى حتى يستأصل من اصلها شجرة تلك الخصوصيات المألوفة وعن عروقها دوح تالك البركات المعروفة. والعياذ بالله ولا اعتصام الا به.

وإن تعجب فعجب صدور ما ترى من قوم تواتر للخآص والهآم من الورى عن جدهم الأعلى – رحمه الله وأبقى ذكره وأعلى – أنه ربى كبرى بناته الكريمات فأحسن تربيتها وحفظت وروت وعلمت ما شآء الله من العلوم العقليات والنقليات ثم ضن بها عن قومها الأقارب حتى مر بها شآب من الأجانب توسم فيه الخير ورآى من العلم والديانة مآ أوجب الخير فقربها معه وجعل جهازها علومها وآدابها ورضي بالمهر ما شاهده من أوصاف ذلك التقي البر فورى زنده وطلع من آفاق المعالي سعده إذ أخرج الله منها ما تعلمون مما سمعتم ورأيتم من العلمآء والصالحين. ثم نسج على ذلك المنوال بنوه وبنوهم على مقدار القوى وتفاوت الأحوال حتى توسط من ندرة ذلك المعدن الطيب في هذا الوقت السعيد والعصر الجديد نادرة الزمان وأعجوبة الأوان ومظهر الفضل ومزيد الامتنان من الحنان المنان ما لم يكن يحسب من قبله أنه في حيز الإمكان وخصوصا في هذا المكان – حياه الله تعالى وبياه فخرقت به العادات وتوجهت نحوه من كل جانب البركات وانتشرت النعم حوله الظاهرات والباطنات فصار كل حزب بما لديهم فرحون. وهل تناسى القوم شيئا من هذا أو يتجاهلون؟ بل حدثت أحداث بدل أن يعضدوه على رفع

هذا السقف المرفوع وتشييد هذا البنيان الثابت على الأساس المتين البديع، اصطلحوا وكأنهم استثقلوا تكاليفه وسئموا تعاليمه أو تعاريفه. فأغلقوا عليه الأبواب وأمسكوا عنه الطرف ثم اضطروا الى لزوم الاحتجاب ليتمكنوا بذلك من مرادهم فانتهزوا فرصهم وافترسوا فرآئسهم ذيابا في ثياب (الغنم) فابتدعوا واخترعوا بمحضره وفق أعوآئهم هنوات خيلوا من لا خبرة له بدواخل الأموار السانحات أنها بمسمعه وبمرآه أو بتقديره ورضاه. وليس كذلك ولا هنالك. والله ما عهدناه قط يقر على الباطل أو يسكت على المناكر لا خآئفا ولا غافلا. وما شهدنا إلا بما علمنا. بل إنما نرى ذلك على رغم أنوفنا من مصداق قوله جل من قآئل: "ذلك بأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا على قَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الأنفال، الآية ٥٣). فانا لله وإنا اليه راجعون". وحسبنا ونعم الوكيل.

أقول قولي هذا ولا أبالي بما سأرمي به من الحجارة أو يغلظ علي من قبائح العبارة إذ لا يخالفني فيه من الأصحاب ولا يجنح الى العتاب إلا أحد الرجلين: رجل يداهن في أمره ورجل يتهاون بدينه. وبئس الرفيقان وخاب الفريقان. أما أنا فلا أرضى لنفسي أن أكون عند ظهور البدع رابع الثلاثة إذ لا يعجزني أن أكون أدناهم. أللهم إن هذا منكر فأنكرناه لا نرضى ولا نرضى ثم لا نرضى. ونتوسل يا ربنا اليك بجاه كل من جاهه عظيم لديك أن تجعلنا عند فساد الأمة من الفرقة المتمسكة بالسنة العآضة عليها بالنواجذ لا يضرهم من خالفهم ولا يخافون فيك لومة من لامهم آمين يا رب العالمين. وصل وسلم وبارك على عين نعمتك العظمى المهداة للعالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته أجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين. وألحمد لله رب العالمين.

الأخوة والصداقة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمد لله الذي جعل الأرواح جنودا مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] فلذلك الأشكال دآئما تتفق والأضداد سرمدا تفترق. والصلاة والسلام والإجلال والإكرام على سيدنا ومولانا محمد الوارد فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى: "أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي. فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته" والقآئل في الحديث الشريف: "الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله" [2] والقآئل: "أكثروا من الإخوان فان الله حي كريم يستحيي أن يعذب عبده بين إخوانه" والقآئل: "المرأ كثير بأخيه" صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين، كلما ذكر الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

إن الأخوة والصداقة مترادفتان لأن الأخ يعبر عنه بالأخ في النسب وبالصديق. فمن جمع بينهما فبها ونعمت. وعلى هذه قول بعضهم: "الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح". وإنما سمي الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه لك. كما سمي العدو عدوا لعدوه عليك متى تمكن منك. ومن علامات الأصدقآء تمازج الأرواح امتزاج الصهبآء بالمآء القراح. ولذلك قيل لبعضهم: "صف لنا الصديق" قال: "أنت هو وهو أنت إلا أنكما جسمان بينكما روح". وقال الآخر: "هو أنت إلا أنه غيرك". وقيل نفس واحدة وأجسام متفرقة". وقيل قلب تضمنه جسمان".

---

[1] حديث لعائشة رواه البخاري

[2] رواه البخاري ومسلم

IRCICA LIBRARY ISTANBUL 1980

إن الانسان لا يستغني أبدا عن أخيه لأنه لا يكمل الا به. ففي الحديث الشريف: "عليكم باخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان" وفيه أيضا: "من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله عز وجل". وفيه: "من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة. ومن ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة". ومن كلام الحكماء: "من لا إخوان له فلا أهل له". ومنه "التارك للإخوان متروك". ومنه "الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين".

ومنه: "من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان" ومنه "الحاجة الى الأخ المعين كالحاجة الى الماء المعين".ومنه "من استخف بالإخوان فسدت مروؤته".

أما الشروط فعن مولانا الصادق - رضي الله تعالى عنه وعن آبائه: "للصداقة خمسة شروط. فمن كانت فيه انسبوه اليا. ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شئ منها، وهي أن يكون زين صديقه زينه وسريرته كعلانيته وأن لا يغيزه عليه مال وأن يراه أهلا لجميع مودته ولايسلمه عند النكبات". وعن الخليل ابن أحمد - رحمه الله - يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال: "الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسألة ومخرج العذر قبل العتب". وعن مولانا علي - كرم الله وجهه ورضي عنه: "لايكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته". ومن كلام بعضهم: "من حق الصداقة حفظ العهد وبذل المال وإخلاص المودة ورعاية الغيب وتوفير المشهد ورفض الوحدة وكظم الغيظ واستعمال الحلم ومجانبة الخلاف واحتمال الكل وطلاقة الوجه وصدق اللسان والمشاورة في البأسآء.

وأما الآداب فعن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – أنه قال: "ثلاث يصفو بها ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له المجلس وتدعوه بأحب اسمآئه اليه"، قيل لبعضهم: "أي الإخوان أخلق ببقآء المودة؟" – قال: "الوافر دينه الوافر عقله الذي لا يملُّك عند القرب ولا ينساك عند البعد، إن دنوت منه دعاك وإن بعدت عنه رعاك، لايقبضه عنك عسر و لايقطعه عنك عذر. إن استعنته عضدك وإن احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله؛ يستقل كثير المعروف من نفسه، ويستكثر قليل المودة من صديقه. وقيل لبعضهم: "أي إخوانك أوجب عليك حقا؟" – قال: "الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي ويبسط عنده أملي".

وأما ما يستجلب به بقآء المودة ودوام الصداقة فالمشاورة والمزاورة والمهاداة وأن لا يسمع أحدهما كلام الناس في الآخر وأن يكتم سره. أما المشاورة فقال فيها أجل كل قآئل يخاطب أجل مخاطب: "وشاورهم في الأمر (آل عمران، الآية ١٥٩)". فكان – صلى الله عليه وسلم – كثير المشاورة للصحابة – عليهم الرضوان. وما أمر بها إلا تطييبا لخواطرهم وليستنوا به. ولذلك كان الاستبداد بالرأي مذموما قال:

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنى ونآى ولا ترى نفسها إلا بمرآت

فإذا كان في المشاورة تطييب نفس المشاور كان الأخ الصديق أولى به. وقالوا من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا. وأما الزيارة ففي الحديث الشريف: "من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن

طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا". وقالوا: "المودة جسم روحها الزيارة". وقالوا: "امش ميلا وعد أخا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثا وزر أخا في الله". وقالوا: "المحبة شجرة ثمرتها المقة وأصلحا الزيارة".

أما المهاداة ففي الحديث الشريف: "تهادوا تحآبوا" وتذهب الشحنآء. وفيه: "تهادوا فان الهدية تذهب وغر الصدر". وكان - صلى الله عليه وسلم - يقبل الهدية ويثيب عليها. وقال: "لو أهدي الى كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت". ومن كلامهم "في نشر المهاداة طي المعاداة"... وأما ترك استماع كلام الناس في الأخ الصديق فقيل لبعضهم: "جئتك خاطبا لمودتك" قال: " قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة الناس" . وقالوا: "لايفسدك الظن عن صديق قد اصلحك اليقين له" وقالوا: "لاتهجر أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استيعاب".

وأما كتمان السر فيما يجب على الإخوان أن يأخذوا أنفسهم عليه ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل.وأسر رجل الى صديقه حديثا.فلما فرغ منه قال هل حفظته؟. قال بل نسيته.وقيل لبعضهم: "كيف كتمانك للسر؟"-قال: "أكتم المخبر وأستحلف المستخبر".ولهذا قالوا:"صدور الأحرار قبور الأسرار".وقالوا:"قلوب العقلآء حصون الأسرار".

وفي هذا القدر كفاية. جعلنا الله تعالى من الذين "يُوفُونَ بِعَهْدِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا اِبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَة وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ" (الرعد، الآيات ٢٠-٢١-٢٢). وصلى الله تعالى وسلم وبارك على من أرسل ليتمم مكارم الأخلاق، سيدنا ومولانا محمد أفضل الخلق باتفاق وآله وصحبه أهل الوفاق ما دام حسن الخلق ومراعاة الآداب سيم طيبي الأعراق. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قصآئد

أراك تعاطي الشعر والقلب هآئم ... على زمن فيه الفصاح بهآئم [1]

على زمن فيه البلاغة آفة ... وأكسد سوقا مخجل الدر ناظم [2]

فلا شاعر تلفى له أريحية ... ولا باذل ترجى لديه المكارم [3]

فأوفر حظا جاهل وأخسهم ... لدى الناس قدرا في المحافل عالم [4]

تراه يغض الطرف خافض صوته ... تحذر أن تعدو عليه الآ لآئم [5]

فواحسرتاه للعلم حان ارتفاعه ... وبان ظلام للجهالة فاحم [6]

وواضيعة للمكرمات وأهلها ... مضوافعفا من بعد تلك المكارم [7]

---

[1] بدأ الشاعر قصيدته مخاطبا نفسه كالمتعجب من إقدامه على تعاطي القريض والهيمان في أودية الشعر وقد أعرض الناس عنه وزهدوا فيه...

[2] في عصر لم تعد البلاغة بنافعة ولا الفصاحة بمجدية ولا الشعر بمقدر حق قدره.

[3] ولعل قصد الشاعر من فقدان الشعراء الأريحية أن قلة الحوافز النفسية التي يثيرها موقف الجمهور الإيجابي من الشعر جعل الشاعر لا يقبل على نظمه إلا في شئ من التكلف. ورافق ذلك كله شح الناس بالعطاء الذي كان سبباً في الإقبال على الشعر عند من ساغ له التكسب به.

[4] عجيب هذا الزمان الذي قلبت فيه الموازين حتى صار الجاهل رفيع القدر عند الناس والعالم وضيعاً في محافلهم مبخوساً حقه.

[5] فلا يكاد يجرأ على رفع بصره بله صوته مخافة أن تسلط عليه ألسنة حدام باللوم..

[6] وهذا الحال مدعاة للحسرة والأسى وخليق معه أن يرفع العلم ليخلفه ظلام الجهل الدامس...

[7] وليس أقل إثارة للألم من ضياع المكرمات والكرماء بعد أن اشتهرت بهم وطار بها صيتهم..

ووآسفي للشعر غارت نجومه ... ولم يبق عرف للبداهة ناسم [1]

فليس نرى من يخطب اللب سحره ... ولا حآئكا للنسج صنعا يقاوم [2]

ولا مفلقا حاكى البكي محمدا ... إذا نوره في مولد النور باسم [3]

يروق له المعنى كرقة لفظه ... إذا فكره في خدمة الحب قآئم [4]

عنيت مناخ الركب تذكرة الألى ... بهم قام للدين الحنيف قوآئم [5]

فهذا وما يدريك من هو مفرد ... نمته الى العليا جدود خضارم [6]

هو الغوث والمغياث ربى قلوبنا ... وأجسامنا فالكل صاف وناعم [7]

أتى وطريق القوم كالقفر دارسا ... وأعلامه مطموسة والمناسم [8]

---

[1] يعود الشاعر مرة أخرى ليبدي أسفه على انقراض فحول الشعراء المبدعين ذوي القراحة الفياضة والبداهة السخية..

[2] حتى لم يعد في الناس من يتأثر بسحر البيان الشعري أو يتنافس في إجادة الشعر.

[3] ولم يعد هناك أيضاً من يمكن مقارنته بالشاعر المفلق محمد بمبا امباكي الذائع الصيت ذي الأنوار الساطعة..

[4] الذي يجمع شعره بين جمال المعنى وكمال المبنى وسمو الغاية، إذ سخر شعره للإشادة بمزايا ممدوحة الشافع.

[5] يقصد الشاعر محج العافين والمسترشدين الذي يذكر من يراه أو يسمعه السلف الصالح الذين أقاموا عمود الدين ودأبوا على الذب عن حمى رب العالمين..

[6] ذلك الكريم المفرد العلم الذي يضيف إلى صفاته الشخصية طيب الأرومة، إذ هو سليل أجداد كانوا يعدون من أعلام الورى ونجوم الهدى.

[7] إنه الشيخ المربي المرقي الذي أصلح وسدد أرواح القوم وأجسادهم ونقاها من كل درن وحال بينها وبين كل ما يشين.

[8] وأحيا التصوف بعد أن كانت معالمه تندرس وأعلامه تنعكس والمتشبث به ينتكس وإذا شيك فلا يجد ما به ينتقش.

وقال أيضا في مدح الشيخ محمد بمبا

على الشيخ رأس الجيل بشراي أبقاه يهد بنآء الجهل والشكل مولاه
سلام ورد صاحبا المدح والرضى وشوقا وتبجيلا كما هو يرضاه
وبعد فيا شيخي ومولاي فاعلمن بأني على العهد الذي لست أنساه
سوى أن ذاك الطيف لم يبق ما به أعيش من القلب الذي الشوق أضناه؟

وكان يعقب بذلك على أبيات للممدوح يقول فيها

فمني الى من مال قلبي للقياه خليلي أنيسي من رضينا سجاياه
سلام سليم لا يضاهي تحيية يشيعه شوق ومدح أدمناه
وبعد فاني يا بن خالي وعمتي أديم الذي قد كنت ترجو وترضاه
لك الله لا ألفى لعهدك ناسيا فلا تك إلا مثل ما نحن كناه

وقال في مدحه أيضا

زرناك يا شيخ مورثا ألما زور المريد المراد المفرد العلما
يا من صبا القلب مني كل أزمنة بلا التفات له حبا وما ظلما
أروم منك دعآءا صالحا حسنا لعله يخرج الأحلاك والظلما

فأجابه الشيخ البكي

جزاك خير جزآء من برى النسما حتى تحوز مقاما قد علا وسما
حتى تحوز الذي ترجو وتأمله من المواهب ممن أصلحا القسما
حتى تكون إمام الجيل مرتقيا بجاه أفضل من يبكي ومن بسما

وقال أيضا في تغريب الشيخ الخديم موجها خطابه الى الحاكم الفرنسي العآم بمدينة سانت لويس (السنغال)

قل للأمير ولا ترعبك هيبته ... إن المهابة خدن العدل والسدد [١]
ومرغ الخد والثم ترب أخمصه ... وارع التأدب في مرآه واتئد [٢]
وأدل دلوك حيث النجح منتظر ... والحق منتصر للصيد والحفد [٣]
إنا دهمنا بخطب ما تهدله ... صم الجبال الرواسي أيما هدد [٤]
تخريب دور وإجلا معشر كشف ... ميل معازيل لا يرجون غير غد [٥]
لا يعرفون سوى غشيان مسجدهم ... أو درس ألواحهم والحرث بالجرد [٦]
قد عاجلوهم بتنكيل على تهم ... لم ترو إلا عن أعدآء لهم حسد [٧]
كم صبية وذوات الخدر ضائعة ... بنفي شخص ولم يفعل ولم يرد [٨]
بالله فتش ولا تهمل خطوب فتى ... لم يخطر السو له مذرئ بالخلد [٩]

---

[١] ينصح الشاعر مخاطبه بأن يتحدث إلى الحاكم الفرنسي غير متأثر بها لـة الهيبة التي تكتنفه، لأنها تستند إلى العدل والاستقامة. فلا داعي لاستشعار الرعب منها.

[٢] ويرشده إلى المبالغة في إظهار أمارات الخضوع والاستسلام بمتريغ الخد وتقبيل قدمي الأمير تعبيرا عن التأدب..

[٣] ويحثه على أن لا يمنعه حاله من الإفصاح عن حاجته لحضرة الحاكم الذي لا يضيع عنده حق.

[٤] والذي يريد الشاعر أن يقال للحاكم هو أن قومه حلت بهم مصيبة نكراء تهتز لها الجبال العظام.

[٥] ألا وهي تدمير بيوتهم وطردهم، وهم ضعفاء أخذوا على غرة، وليس لهم خبرة بالحرب ولا رغبة فيها لانشغالهم بأعمالهم اليومية.

[٦] ولم يكن لهم همّ غير التعلم والتعليم والعبادة وفلاحة الأرض لكسب رزقهم من أطيب مصدر.

[٧] وقد سارع مهاجموهم إلى التنكيل بهم متذرعين بتهم لفقها أعداء لا يحدوهم إلا الحسد.

[٨] فتسببوا بتلك التهم الزائفة في نفي رجل برئ وأضاعوا بنفيه نسوة محجبات وأولادا كثيرين.

[٩] ويؤكد الشاعر شهادته أن معيل هؤلاء الضعفة امرؤ لم يخطر السوء بباله قط بل كله خير وسلم.

ولا تجيزن أبيت اللعن ما حكموا ... بالقيل والقال دون البحث عن شهد [١]

فابن الدعاوى دعي دون بينة ... وباللحوق يزول العار عن ولد [٢]

ولا تكن أبدا مسترجما أبدا ... عن أمره من ذوي الأضغان والحسد [٣]

إذ ليس شاهد إنسان معانده ... ولا مساعده في الجد والفند [٤]

فالحب يعمي كما البغضآء مخيلة ... ما ليس في شيم المسخوط من أود [٥]

وأنت أدرى بذا إذ للملوك نهى ... تغني بالإيماً عن التصريح من أحد [٦]

يا من عدالته تدرى ودولته ... غراً وساحته منجى ذوي الكمد [٧]

تهي شكاة طفيلي لحضرتكم ... في سرب من خملوا من سوقة البلد [٨]

ولا تسل عنه إذ لو باح منتسبا ... لراح منتشبا في برثن الأسد [٩]

---

[١] ويناشد الحاكم بعد السلام عليه على طريقة عرب الجاهلية قائلاً: "أبيت اللعن" أي إنك امرؤ تربأ بنفسك عن أن تفعل ما به تستحق اللعن – أن يحقق في التهم التي رميت بها ذلك الشيخ ولا يقبلها دون شهادة من يوثق بشهادته.

[٢] يشبه الشاعر الكلام الذي لم يصدر من ثقة بابن الدعاوي. فكما أنه لا يلحق بأحد إلا ببينة قاطعة فكذلك التهمة التي لم يثبتها دليل لا يحكم بها على أحد.

[٣] وإن كنت باحثاً في أمره وطالبا الحق في شأن هذا الشيخ فإياك وسؤال الحسدة ذوي الضغائن..

[٤] إذ ليس من دأب المعاندين أن يدلوا بشهادة صادقة في حق من يعاضدونه ولا من ديدنهم مساعدته لرسوخ الخصومة فيهم.

[٥] إن العواطف قد تؤثر إيجابا وسلبا على مقدرة الإنسان على إصدار حكم عادل. فالحب قد يعمي والبغض قد يدفع الباغض إلى رؤية صفات في خصمه لا توجد إلا في ذاته..

[٦] وخبرتك وذكاؤك وحكمتك – أيها الحاكم – صفات تطلعك على هذه الحقائق؛ فلست إذن بحاجة إلى أن أخوض في تفاصيل التهم ودوافعها ومصادرها.

[٧] إن عدالتك مشهورة ودولتك منصورة ودار حكمك ملجأ المهمومين الحزنين..

[٨] هذه شكوى أتتكم من أحد عامة الناس ممن يتصرف كالمتطفل، إذ لم يكلفه قومه بذلك.

[٩] ولا داعي للسؤال عنه ولا حاجة إلى معرفته، لأنه لو عرف بنفسه لافترسه الأسد من هوانه أي لتعرض لانتقام سريع بتجرئه على مخاطبتك. وهذا من تواضع الشيخ الشاعر.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

للشيخ امباكي بوسو مبينا ما يجوز في حلق شعر البدن وما لايجوز

قال محمد البصوبي الجلفي ... يرقع خرق ثوب كل مرء جلفي
في شأن شعر جسد الإنسان ... على اختصار واضح البيان
معتمدا على نصوص جمة ... للمالكية شموس الأمة
كالعدوي سيدي علي ... والصفتي يوسف الولي
والله أرجو أن يكون نافعا ... وأن يكون للعتاب رافعا
واعلم بأن الخمسة الأحكاما ... تأتي هنا فلتنظر النظاما
فحلق لحية وشارب حرام ... تأديب من يفعله على الامام
ورخصوا في حلق شارب يسير ... وفوق عنفقته دون الكثير
إلا إذا دعا اليه الضرر ... مثل المداواة على ما أخبروا
كذا الذي يريد احراما بحج ... خشي طول شارب فلا حرج
وقصه المندوب والمروي ... عن الامام مالك، أخي
وحلق شعر الرأس من غير ضرر ... فيه خلاف والجواز المعتبر
بل قال بعض في زماننا يجب ... خوف ادعآئهم ولا ية كذب
لأن تركه غدا شعار من ... يدعو الولاية من أهل ذا الزمن
والمدعيها كاذبا يا فاهمه ... يخشى عليه القوم سوء الخاتمة
والشعر النابت فوق الحلق ... يجوز حلقه كذا بالحق
كالخد والنابت تحت الذقن ... فيه خلاف عن ذوي التفطن
فقيل إن حلقه مكروه ... وقال بغض تركه تشويه

فالحلق مطلوب وذا مقبول ... مؤيد والأول المنقول
وحلق عانة وما فوق الدبر ... والانثيين ندبه قول الخبر
ونتف الإبطين من حلقهما ... أحسن ولكن مجزئ فلتفهما
ويستحب قص شعر الأنف ... بآلة التقصيص لا بالنتف
وتحلق النسآ وجوبا إن نبت ... لهن شارب كذا إذا التحت
لكن حلق شعر رأسها حرام ... بلا ضرورة وإلا لا ملام
والشيب صبغه بكالسواد ... يجوز لكن خص بالجهاد
وذاك في بيع العبيد يحرم ... وفي سوى هذين يكره اعلموا
كنتفه وصببغه بالكتم ... ونحوه يجوز سآئل تعلم
فالعلم بالتفتيش والتدبر ... ترزق لا بالفخر والتكبر
لولا مخافتي بالطول ضرر ... لزدت ها هنا نفآئس غرر
والحمد لله على مآ أسدى ... من نعم حلت فلن تحدا
ثم الصلاة والسلام أبدا ... على نبينا المشفع غدا
وآله وصحبه وأمته ... ومقتفي آثاره وسنته

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأمته أجمعين.

ولحجة الله على العباد، الشيخ الحاج امباكي البصوبي في المقياس المعروف بالمتر:

أفضل ما استعمل عند الناس ... في سائر الأقطار من مقياس

المتر وهو جزء من مائة ... آلاف ألف جزء أخذت
بالضبط من ربع محيط الأرض ... وجزؤوه ويضعف أقض
فالديسمتر جزء من عشرة ... جزء وسنتي جزء من مائة
والملمتر جزء من ألف ... جزء وإن أردته بالضعف
فالديك عشرة وهكتو مائة ... والكيل ألف ثم مر يا عشرة

آلاف متر وأضف لمتر ... كلا وميزه به لتدري
ومنه للكيل وللوزن يرام ... مقدار لتر ثم مقدار جرام
فاللتر من عشره مكعبا ... حجم وعآء اسطواني جلبا
لكيل مآئع وحب ناشف ... وجزأنه مثله وضاعف
ثقل عشر عشره المكعب ... من ما الجرام وله الأجزآ انسب
أما الفرنك وحدة النقود ... فقطعة تزن يا مودودي
خمس جرامات وبالديسيم ... عشره ثم ذاك بالسنتيم
فهاكموه أهل الاستفادة ... درسا يمنى السفر مآ أفاده

وله أيضا في اختصار اللفظات الألوف المتكررة قوله:

وادع لكل ألف ألف ميليون ... والف ميليون ادعه بيليون
وهكذا تقول في ترياليون ... ثم كترليون زد سينكليون
سيسيليون بعده ستليون ... فويتليون نفليون ديسليون
سيسيليون بعده ستليون ... فويتليون نفليون ديسليون

وللشيخ الحآج امباكي بوسو في تبين مقدار الميل بالمتر على ما جآء فيه من الاختلاف وتعريف حد مسافة القصر وغيرهما قوله:

أفتش قدر الميل بالمتر إن تسر ... فزد "قد" من الأمتار "اع" كيل واقصر
ودمت من الأمتار إن رمت فرسخا ... تلى أربعا من كيل متر فخير
فأميال حد القصر "حم" وفراسخه ... "يو" فتذاكر في العلوم وذكر
وقل من كيلو الأمتار "أيق" لدرجة ... تلت مآئة ملمتر فافهمه وأخبر
وتلك من الأميال سبعون أتبعت ... بخمسة أميال فان شئت فاسبر
ومن فرسخ عشرون من بعد خمسة ... فحصل ونافس في العلوم وحرر

ثم قال:

تقدم أن الميل بالمتر "أفتش" ... وقد جآء عن بعض الأكابر "هنطش"
وفرسخه منه "هصت" متر إذا تلت ... من الكيل خمسا فانظروه وفتشوا
و"طف" من كيلو الأمتار يتلوه أربعو ... ن مترا لحد القصر عنه ينبش

ونظم أبياتا في الظل يوم يواجه القبلة:

لظلك صل العصر من "يب" فيبرر ... الى "طيه" إن كنت فيما يلي طوبى
كذلك من "كه" في شتنبر عدها ... ثمانية مسرودة واجتنب حوبا
وصل الضحى لظل سترة "يدميه" ... إلى "أكه" تنل بذلك مرغوبا
ومن "كو" تاليه لثالث تلوه ... فلا تلف يآ إلفي عن الحق محجوبا

مراثي

توفي الوالد عام "سب شئ" عن "عز" عمره وقيل كنه حي [1]
وهو الأصح ظهر يوم اثنين لزي ذي الحجة دون مين [2]
وحي عمر شقنا الشيخ عمر لربه في نصف "كيسش" فمر [3]
ثم الأغر شيخنا ابن جارة "ي" طلسش صبحا قضى أوطاره [4]
أما الذي انقاد لرشد بالرسن أنيسنا ابن العم ذو الخلق الحسن
محمد ندب فأين عمرا ليلة "كه" فعدة "مسش" سرى [5]
وعد عمر شيخنا قطب القمر غوث الورى أول "ومسش" ظهر [6]

---

[1] سب شئ: ٥١٣١٢ (١٨٩٩٥) كنه: ٧٥، عز: ٧٧

[2] زي: ١٧

[3] حي: ١٨

[4] ي طلسش: ١٠/١/١٣٣٩هـ (٢٣/٩/١٩٢٠)

[5] أين: ٦١، كه: ٢٥، مسش: ١٣٤٠هـ (١٩٢١/١٩٢٢)

[6] ومسش: ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)

مقولات في السياسة

(لسان الحق يتكلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان الحق يتكلم فأنصتوا له، أيها السنغاليون، تفهموا واجعلوا أفئدتكم أوعية له ترحموا.

أنا لسان الحق، أصدع بالحق وأسوم ضده المحق لأني أنا الحق، أنا المحيي وأنا المميت، أنا المعز وأنا المذل، أنا أحكم لا معقب لحكمي.

أنا الذي أجلست "غلالاندو جوف" [1] فوق عرش المجد. من سره ذلك فيحمدني. ومن ساءه فليمت بغيظه. أنا خلقته مسلما وصيرته أمينا لأهل هذا القطر السعيد سفيرهم منتخبهم قديما وحديثا نآئبا عنهم في أمور الدولة مرضيهم في جميع ذلك. ولم أجمع تلك الأوصاف في أحد من أهل هذا القطر السنغالي قبله. سجد لي في جوامعه وفي جوامع المغاربه وفي جامع باريس. وإن شئت أسجدته في المسجدين الشريفين في الحرمين الآمنين فيحوز بذلك فوز الدارين. أنا أفعل ولا أسأل عما أفعل. لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت. ومكروا وأنا خير الماكرين. أنا أرث الأرض ومن عليها. وأنا خير الوارثين.

---

[1] كان غالاندو جوف ننائباً عن السنغال في البرلمان الفرنسي انتخب عام ١٩٣٤م. وهو الذي قام بأرجاع الشيخ محمد المختار امباكي المشهور بشيخ أنت من منفاه في سيغو بدولة مالي حيث أرسل بتواطؤ من السياسي بليس جانج. أول نائب للسنغال في البرلمان المذكور والذي كان انتخب عام ١٩١٤م وكانت علاقاته مع الشيخ صارت سيئة. وبما أن الشيخ امباكي بوسو كان ابن عمة الشيخ المنفي وصديقه الذي حج معه بيت الله الحرام عام ١٩٢٨م فقد حزن لنفيه وسر بمقدمه ومال إلى السياسي المتسبب في ذلك الحدث السعيد. ويقصد الشيخ هنا أن يحكي قدر الله كما شاهده خلال الأحداث.

أنا عمدت الى أعدآئه فنفيت منهم وأفنيت وضللت كيد من أبقيت، ألا فاشكروا لي. أنا عمدت إلى أركان أعدآئه فقلت للأول اخرج من هذه القرية التي فعلت بها فعلتك التي فعلت وسر الى حيث شئت تسير اليه واخلع عنك هناك قميص كرامتك الذي كنت قمصتك به هنا ففعل ورفعت الثاني في الجو حتى نظر اليه كل صديق حميم وكل عدو مبين فأسقطته بمرئ من الجميع في جب عميق وقلت لأعدآئه سنوا عليه التراب وواطئوه أرجلكم طآئعين أو كارهين ففعلوا. وقلت للثالث مكانك تمرغ في ثياب ذلك من حيث ينظر الناس الى عوراتك من قدميك الى رأسك بلا ساتر ففعل. ثم قلت للرابع اخسأ يا كذا وابعد عن هذا القطر السعيد وتوار ثمَّ. فانك كنت ضاريا مغرى ولا مغري لك اليوم ولا مرسل ففعل. ثم قلت لأهل الحل والعقد هلموا الى حل ما عقدتموه من مفتريات الأباطيل. فمن كان منكم عقد كارها فليحل فرحا مسرورا ومن كان منكم عقد راضيا فليحل كارها مقهورا فحلوا. ألا فاشكروا لي، يا غالاندو جوف بتعمير بلادي وتفقد عبادي فترد مطروديهم ظلما الى مآمنهم وتخرج مسجونيهم كذلك الى أماكنهم وبتقوية ضعفآئهم وبمعاونة محترفيهم على حرفهم حتى لا يخشوا فيها الكساد.

ألا قدم الحارثين الحارثين ثم من جرى مجراهم لأنهم أفضل عمار الأرض ,اكثرهم بركة وأطيبهم كسبا وحلالا وأبرهم غنيمة حتى أنهم في مبيعهم لا يبخسون. ألا ترى أني كلفت كل تاجر سواهم بدفع رأس ماله قبل أخذ ربحه. وهم رضيت بعرقهم فقط رأس مالهم. وهاك من ذلك مثالا: هؤلآء أهل كجور وانجامبور مضت عليهم سنون عديدة تعطلوا فيها عن أدآء جزيتهم (ضريبتهم) لعجزهم فضربوا وسجنوا وفروا من جهات الى أخرى.

وبيعت أملاكهم. ولم يجد ذلك كله شيئا. فلما طالبوني في خبايا أرضي أمطرت لهم غمام البركة فأخرجت لهم الأرض كنوزها فأكلوا وشربوا حتى شبعوا وأدوا جميع ما عليهم مما مضى وما حضر. فلا ضرب العام ولا غيره مما ذكرنا. ألا فاشكروا لي، يا غلاندو جوف، بأن تقدر نفسك واحدا منهم بل قدمتك عليهم لأنظر كيف تعمل وأنا أرفع من تواضع وأضع من ترفع. ألا فاشكر لي بأن لا تخونني ولا تخون الدولة الجمهورية فانها مبنية على المساواة ضد الاستبدادية وبأن لا تقبل الرشوة فانك إن ارتشيت رفعت الراشي فوق قدره وحططت غيره من منزلته. وكلاهما ظلم وأنا لآ أحب الظالمين. وإنك – إن لم ترتش – بل اقتنعت بما رتب لك باركت لك فيه ورزقتك القناعة التي هي أفضل الأرزاق. ألا فاشكر لي بالعفو عمن ظلمك. ودعني وإياه فاني أنا المنتقم للمظلومين من الظالمين وباعطآء من حرمك وبوصل من قطعك. فهذه هي الخصال التي أختارها لصالحين من عبادي خصوصا لمن قدمتهم على أمثالهم. شكرا شكرا لا كفرا.

ألا فاشكروا لي يا منتخبيه بأن تعينوه على تعمير هذا القطر السعيد ولا يطالبه آحادكم بموافقته لهم على ما يختصون بمنفعته ومنفعة غيرهم من جنسهم. فان فعلتم نصرت أيامكم وخلدت مجدكم وأطرت صيتكم الى جو سمآئي فتدركون بذلك من سبقكم من الأجناس وزاد سبقكم على من سبقتموه الآن. واعلموا أنه لم يكن الزمان الماضي زمنا مظلما إلا برفع الموافق فوق قدره وبالإغضاء عن عجره وبجره وبايذآء المخالف ولو تقلد من الفضآئل بما شآء. فاشكروا لي ولا تكفرون. فأنا المنزل: "لئن شكرتم لأزيدنكم" ولا أخلف الميعاد. وأنا أعز من أشآء وأذل من أشآء وأقدم من أشآء على من أشآء وأؤخر من أشآء ولا رآد لقضآئي.

ثم اعلموا أني الذي خلقت "شيخ أنت" على خلقته عليه من سلامة الصدر ورقة القلب وخلو البال وخولته ما خولته وجبلته على الإنفاق مما رزقته يمينا وشمالا ليلا ونهارا، لا يميز في ذلك صديقا من عدو ولا قريبا من بعيد. إنه مجبول على ذلك لا كسب له فيه. فلو أن أعدآء خليله أتوه من الجهة التي أتاه هو منها لنالوا منه ما نال. ولكن أكثر الناس لايعلمون. فرموه بما رموه به مما لا يليق ولا أعلمه فيه منذ خلقته. فاشكر لي، يا شيخ، بالصبر على ما قيل فيك وتعلم أنك برئ منه. فاني مع الصابرين. "وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل، الآية ٩٦).

ألا فاشكر لي، يا شيخ، شكرا كثيرا، فأنا الذي رددتك الى بيتك الذي أخرجت منه ليلا مروعا مذعورا كما يخرج الذئب الشاة من الحظيرة. ورددتك الى فراشك نهارا آمنا مسرورا ثم إني أنا الذي قلت لأهل الحل والعقد هلموا الى حل ما عقدتموه عليه من مفتريات الأباطيل وترهات الأقاويل. فمن كان منكم عقد كارها فليحل مسرورا. ومن كان منكم عقد راضيا فليحل كارها مقهورا. فحلو عنك ما شدوا من الوثآئق ورجعوا عما توهموا فيك من الشقاق. ألا، فاشكر لي، يا شيخ، بادامة عبادتي في قعور بيوتك. وكل أرزاقك علي. فانها إن تك في صخرة أو في السماوات أو في الأرض آتك بها. فان فعلت فلا أنقلك من هذه النعم إلا إلى نعم خير منها وأبقى. وأنا الذي لا يقال في شئ فعلته لمه؟ ولا تصل إلي من خلقي كلمة. فسبحاني مآ أعظم شأني.

رسالة الى الحاكم بروفيه

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

هذا وإنه من جميع المريدين، آل الشيخ بنب المرحوم وأتباعه المتعلقين رجالهم ونسآئهم كبارهم وصغارهم عآمتهم وخآصتهم، الى حاكم الحكمآء ورئيس الرؤسآء وحكيم العلمآء، المسيو بروفيه، تحية كما ينبغي أن تحيى به الرعية رعاتها والضعفآء كبرآءها وسادتها وتبجيل وإكرام يناسبان جنابه الفخيم وتوقير واحترام يسايران محتده الصميم يؤدون بذلك كله بعضا من واجبات حقوقه ويشكرون به مساعيه المشكورة في كل ناد من كل وجه وفي كل قطر من أقطار هذه البلاد وخصوصا بما خصهم به من نزوله في طوبى المحروسة وبما ذكر فيهم من الذكر الحسن في خطاب لذيذ أمن به روعتهم وأزال فضيحتهم تيقنوا به أن فرنسا أتم الأجناس اعتنآءا بوفآء العهود وإنجاز الوعود وتناسي الوعيد. وتذكروا به ما كانوا يسمعونه من شيخهم المذكور حين يخلون به ويتحدثون عنده ويتعجبون مما وقع له من الدولة مما ينافي ما علموه فيه من فرحه بها واعترافه بالفوآئد العديدة التي لم ينلها إلا بها وكذا وكذا..

يقول لهم هذا الذي ترون ليس إلا من جهالتها بي وتزول إن شآء الله. فيقولون في أنفسهم لعل الشيخ يريد في الآخرة. ثم مد الله تعالى بفضله حياة بعضهم حتى رآى بعني رأسه زوال تلك الجهالة بالكلية قبل خروجه من الدنيا بقليل كما رآى تداركها ما فاتته منه في ولده المبارك الذي الإحسان إليه أحب إليه من الإحسان إلى نفسه بكثير. وإنما تعجبوا من ذلك لأنهم يرونه يعين الدولة على التعمير أيما إعانة ولو لم ترها لأن ما بطن منها أكثر مما ظهر.

وخدم لها حيث علمت أو لم تعلم خدما لم يعدها مغرما عليه بل طيبة بها نفسه الكريمة مكافيا بها بعض ما ناله بوساطتها مما لم ينل عشر عشره أحد من سلفه ولو بلغوا ما بلغوا لعدم مناسبة زمانهم لذلك.

فلهم دور قديمة في جولوف وباول وكجور وسالوم. وكل من اختط منهم دارا فانما يقول للمتغلب على تلك الأرض حينئذ: أطلب منك شيئين مكانا يسعني أنا وعيالي في حراثتنا ومساجدنا ومدارسنا وأمنا نتفرغ معه للاشتغال بهذه الثلاثة. فان أجيبوا لذلك جلسوا ما شآء الله وإلا ارتحلوا إلى آخر وهكذا. ولذلك قيل فيهم:

لا يعرفون سوى غشيان مسجدهم أو درس ألواحهم والحرث بالجرد

على أن أولئك المتغلبين لم يكونوا يملكون مما كان هؤلآء يطلبونه شيئا بالنسبة لما لفرنسا منه، لأنهم يجودون به لجميع من أراده قبل أن يسألوه بل الإسعاف بمثلها طبيعة لهم لا ينفكون عنه بل يدعون الناس إليه ولا يحوجونهم إلى طلبه سوآء الخوآص في ذلك والعوآم. ولذلك كان هذا الشيخ يعترف لهم بتلك المنقبة ويحاول معاملتهم بما يليق أن يعاملوا به. فقام حساده وحالوا بينه وبين ذلك بما يتبين بعد حين بطلانه. ولهذا تحقق المريدون أن هذه الموالاة الخاصة للولد والتعظيم البالغ والمسارعة لقبول مطالبه السنية إنما لا حظوا فيه حق والده المرحوم لأن الولد مشمر عن ساعد الجد للخدمة في المستقبل مقبل عليها بهمة تآمة نشط لها لما علم من أن من جوزي بعمل غيره فبعمل نفسه أولى.

ومن شواهد تلك الملاحظة أن الشيخ – رحمه الله – لم يبق له حين وفاته من حوآئج الدنيا: إلا ثلاث؛ طلب من الدولة الفخيمة إحداها وسكت عن الباقيتين إذ لم يجد لهما فرصة. فأسعفته بما طلب. ألا وهو المسجد الجامع بوطنه طوبى المحروسة. فدعا في الحين خآصته وأخبرهم بالخبر وبالغ في تأكيده عندهم وحضهم على القيام به وخص كل واحد منهم بما خصه به وأمرهم بالشروع فيه فشرعوا في نحت الجبال ونقل التراب ونحو ذلك. ثم حصل نزاع قليل فيما بينهم بسبب اختلاف الآرآء إذ بعضهم يرى أن لهم أن يختاروا لذلك من شآؤوا من البنآئين، وبعضهم أن ذلك لا يتم إلا إذا رد الأمر إلى الدولة فتنظر في التحصيل كما نظرت في الإذن. وقبل اتفاقهم على رأي توفي الشيخ – رحمه الله – فوقعوا في دهشة عظيمة وظن الناس أن المسجد لا يكون أبدا إلا أن نواب الدولة لم يزالوا يقولون إن الوعد لايختلف حتى أنجز بيدي النآئب الحكيم والمصلح الكبير الناصح لفرنسا ولسآئر متعلقاتها والذي يأبى إلا أن ينتصب لكآفة الناس لا لأفراد منهم ولا لجنس دون بقية الأجناس، ألا وهو المسيو بروفيه، بوجه لا تتطرق إليه يد النزاع وتدبير لم يكن يظن أنه في الإمكان – فسح الله في حياته كما أعمر بلاده وأمن عباده..

وأما اللتان سكت عنهما فالأولى الحج الذي يعده المسلمون من فروض أعيانهم كالصلوات الخمس وصيام رمضان لايسقطه عن مسلم حيث كان من اقطار الأرض إلا عدم الاستطاعة. وهو قد أعد له زادا بالغا في صحة بدن وأمن طريق. وإنما سكت عن طلبه لأنه بعد أن أذن له في سكنى جوربل وسامحوا له في زيارة طوبى متى شآء ثم يرجع، كان كلما أراد الخروج لزيارتها سعت أعدآؤه الى حاكم جوربل ساعتئذ وقالوا إن أذنت لهذا في الخروج فما ينشأ في خروجه من الحركة وما يتولد منها يعود عليك وباله.

ومن كلام العرب: "من يسمع يخل" ولآن البلآء موكل بالمنطق فيخاف ويرده عن ذلك. فعرف أن من هذا حاله يعد طلبه الخروج للحج عبثا فسكت عنه لكنه قضيت له تلك الحاجة أيضا بعد. فقد طلب بعض أولاده ذلك وأذن له فيه فحج واعتمر وزار ورجع سالما غانما تقبل الله تعالى منا ومنه ومن المسلمين. ومعلوم أن صالحات الأولاد من متمات صالحات الوالدين. والثانية مدرسة تكون رحلة السنغال اليها في العلوم العربية شرعيتها وآلاتها. وقد أعد لها كتبا لا توجد عند غيره وفتيانا متأهلين لتدريس الفنون، وآلات تقوم بها؛ سوآء عنده أن تكون في طوبى أو في جوربل. وإنما خص المسجد بطوبى لأنها الوطن الأصل. ومن شروط الجامع نية الاستيطان بذلك المحل. ولذلك لم يصل الجمعة في المسجد الجوربلي قط لأنه لو أذن له ساعتئذ في الرجوع الى طوبى لا يبيت في جوربل ليلة واحدة. وإنما سكت عن المدرسة لكونها تابعة للمسجد فقدم طلبه على طلبها.

ثم لما توفي الشيخ – قدس سره – وعمت الدهشة سآئر المريدين تجلد آله فقدموا بعد تجهيزه إصلاح ما إذا لم يعاجل إصلاحه ضاع وعزموا على أنهم إن فرغوا من ذلك يقومون بأكبر أولاده إلى أعتاب نآئب الدولة وينعون الدولة فقيدها الوحيد ويعزونها عن فخرها الفريد ويظهرون لها الولد الرشيد الذي قام مقامه وهو حي لأنه شيعه نحو أربعين سنة. ولو علمت بذلك كله وإن حاله أوفق للدولة من حال والده لأنه كان ضعيف البدن لكبر السن ربما تحتاج الدولة الى رؤيته ومكالمته فيشق ذلك عليها لما تعلم من ضعفه حتى طالبته بنصب حآئل بينهما يكون لسانه إن عسر لقآؤه ففعل، بخلاف الولد فلا يحتاج إلى ذلك. فمتى احتاجت إلى رؤيته نهض في الحين. وإن طولب بشئ متعلق به أو بماله فواضح وإن طولب بما يعم المريدين فنطلب من سيادة (ممثل)

الدولة أن تأذن له في مشاورة من كان والده يشاورهم قبل كل شئ لا لنظرهم في الجواب – لأن مطلوبها أيا كان لا بد من تحصيله عاجلا – لكن لتؤتى البيوت من أبوابها في فصول هذا المذكور بعضها.

وقد شرع كاتبهم في تسويدها. وقبل أن يتموا هذا الأمر بادر أعداؤهم وحسادهم في إبطال أمرهم بالسعي بالنميمة وإلقاء التهم بينهم حتى صار بعضهم ينظر الى بعض بمؤخر عينيه فانتهزوا فرصتهم وفرقوا باختلاف الآراء وكسروا أقلام كاتبهم على هامة رأسه فاستكان في جملة من استكانوا وأشاعوا أن المريدين اختلفوا فيما بينهم اختلافا ربما يؤدي الى كذا وكذا حتى بلغ ذلك الحاكم العام السابق فبادر – شأن الحكام – الى رقع هذا الخرق فأمر نائبه في جوربل بحشر المريدين حيث كانوا قاصيهم ودانيهم اليه في يوم معلوم ففعل وجمعهم في مسجدهم بجوربل وخطبهم خطبة حافلة مدارها "نحن نصبنا المصطفى وكل من خالفه فعلنا به وفعلنا" وفي الحاضرين رجال صحبوا والد المصطفى قبل أن يولد المصطفى سنين عديدة ولم تكن صحبتهم له عن توطؤ ولا عن تمالؤ وتشاور وليسوا مأمورين من أحد غير الله تعالى. بل بعضهم لم ير قط بعضا إلا بملاقاته معه عند الشيخ. وما جمعهم عنده إلا ترادف همهم في طلب المرشد الكامل وتوارد خواطرهم في كونه هو ذاك. وليس عنده حينئذ من الدنيا مثقال حبة من خردل ولم يكونوا يطمعون في أن يصدروا من عنده إلا بقلوب فارغة من الدنيا مقبلة على الآخرة. ثم ارتفع شأنه حتى بلغ الى ما بلغ وحصل ما حصل. وهؤلاء هم الذين كان الناس وقت اغترابه وديعة له عندهم. وهذا الولد المبارك إذ ذاك من جملة الودائع. وكان من عادته معهم أن لايقطع رأيا من أمور الدنيا إلا بمشاورتهم. فان طولب برجال للخدمة أو للحرب أو طولب بمال للاستعانة أعلمهم بذلك

فبادروا الى تحصيله. وهو مشتغل بأمور آخرتهم. فيحصل المطلوب كما ينبغي. فصاروا بهذا الخير كأنهم المالكون لأمور الناس دونه.

فلما سمعوا هذه الخطبة أخذهم الرعب بالوعيد الشديد والخجل بأن طولبوا بشئ كانوا يظنون أنهم المالكون لطلبه فسكتوا جميعا لهذين. وما زالوا كذلك حتى حل بصاحبهم ما حل مما يعلم ولا يذكر فنفروا نفرة الشياه من الذياب ولازموا قعور بيوتهم. كل يتربص بنفسه مثل ذلك ويظن أنه الملحق بصاحبهم أولا إذا لم يعلموا منه إلا ما علموه في أنفسهم من الخضوع للدولة والمسارعة لأوامر حكامها والمباعدة عن مناهيهم وتحمل تكاليفهم على الرؤوس أيا كانت. وما جاز على المثل يجوز للمماثل. وإذا كان شيخهم لطخه أعداؤه بدمآء التهم يتمرغ فيها أكثر من ثلاثين سنة لا يقدر أن يغتسل منها فما يقال في غيره؟ ولولا قلة حظوظ المريدين لتم تدبيرهم قبل وقوع ما وقع. فلا يحتاج الحاكم الى ما احتاج اليه. فلا يكون شئ مما كان لكنَ "لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولا" (الأنفال، الآية ٤٤). "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْراً مَقْدُوراً" (الأحزاب، الآية ٣٨). ومما يدلك على أن هذا الذي أشاعه الأعداء وهم في زي الأصدقاء كله كذب وافتراء أنه ليس ثم مع المصطفى إلا إخوته وأعمامه، إخوة والده، وأصحاب والده. أما إخوته فهو أسن منهم جميعا. فلا يسعهم إلا اتباعه اتباعا واجبا شرعا لما في الحديث الصحيح عن نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم من قوله "حق كبير الإخوة حق الوالد". وأما إخوة أبيه فقد شاركوا والده في ميراث والدهم، جد هؤلاء الأولاد. فأي حماقة تحملهم على مشاركتهم في ميراث والدهم أيضا؟ كلا. ولو حاول أحد الفريقين لنفسه حقا لغيره لزجر من الأصحاب زجرا عنيفا. وليس شئ من ذلك يخطر بالبال، لأن أهل هذا البيت معروفون بسلامة الصدور .مثلهم كمثل البيض. فلو

ترك البيض والبيض لربما يتصادمان ولا ينكسر واحد منهما لأن كلا يحترز بنفسه احترازا يمنعه من كسر صاحبه. لكن إذا حال بينهما حجر وقال لأحدهما إنما أكسر لك صاحبك. فليفر المنصور له أشد الفرار ولا يغتر بمقالته. فان كسر الحجر البيض لا فرق فيه بين أن يكون واقعا أو موقوعا عليه..

وأما أصحاب والده فلا ينظرون اليه إلا بالأعين التي كانوا ينظرون بها الى والده المرضي. فان سلك مسلكه حمدوا الله تعالى وشكروه وعلموا أنهم وري زندهم وتيقنوا أنه يسلك بأولادهم بعدهم مسلك والده بالآبآء. وإن رأوا غير ذلك – ولا أخالهم – قصارى أمورهم معه أن يراعوا فيه حق والده ويلاحظوا فيه حرمته وعهده كما في حياته كي يلحقوا به وهو عنهم راض كما كان في حياته. فمن أين يأتي الاختلاف عليه؟

ولكنهم لما بلغهم كلام هذا المصلح الكبير، الناصح الخطير الذي ظهر للحراثين حسن نقيبته في زروعهم وللسآئمين في ضروعهم. وعسى أن يرى أهل الحضر أثر ذلك في أسواقهم؛ ألا وهو المسيو بروفيه، وهم على ما كانوا عليه انسلوا من جحرانهم وتنسموا بنسيم الهوآء ثم انتشروا في الأرض يتسآلون عما حدث. فشرع كل يذكر ما ترآى له. فقال أوسطهم حدث زمان ينفع فيه الصادق صدقه. وويل لمن كانوا يقتاتون بالكذب والنميمة والافترآء على المبرئين. هذا زمان بزوغ شمس الحق. هذا أوان إدبار ظلمة ليالي الباطل. ففيم الاختفآء؟ فابرزوا وتداركوا ما فاتكم من سماع خطابه اللذيذ بالكتابة اليه. فقد ذهب عنكم الرعب وزال عنكم الخجل لما علمتم أن هذا الحكيم إنما عمكم بالثنآء الجميل ولم يرد شيئا يروعكم إلا لحسن رعايته.

فينطق بما شاهد وسكت عما سمع ولم يره. لأن الراعي الحكيم في رعيته يسمع حركة جناح ذباب في طيرانه فضلا عما يتحدث به الناس:

هكـــذا هكـــذا وإلا فـــلا فـــلا طـرق الجـد غـير طـرق المـزاح

فجرأهم عدلك على مكالمتك وحملهم حلمك على مكاتبتك حتى لا يبقى لك من أمورهم شئ تحتاج أن تسأل عنه أحدا غيرهم لأن أحسن من يبلغ عن المرء لسان نفسه. وكأنهم بمن يلومهم في تطويل الكلام بمحضرك ولم يدر الجهول أنه كان فيما مضى صفي من أصفيآء المولى ممن اصطفاه لمكالمته سأله ذات يوم عما بيمينه فأجابه عن السؤال وزاد ثم زاد استلذاذا بمخاطبة المولى الأعلى. أفلا تعذرون قوما كانوا في متلف من الفلاة يعتقدون إنهم لو خسفت بهم الأرض لم ينتبه لهم أحد ولا يعبؤ بهم. فاذا فرنسا برمتها نزلت بساحتهم ونظرت اليهم بعيني رحمتها. وكلمتهم بلذيذ خطابها وأصغت اليهم أذنا واعية لتسمع منهم. أفلا يجدر بهم – ولو كانوا حميرا – أن ينعقوا حتى يعلم أن النعيق مبلغ ما عندهم من إظهار السرور والتبجح بالحبور. أطال الله بقآء الحاكم الحكيم وزاد اتقآء المصلح العميم، المسيو بروفيه، حتى أينعت ثمار غراسه في السنغال فيطعم ويطعم ويتنعم وينعم ويخلد ذكره بخلود آثاره. قولوا آمين. والحمد لله رب العالمين.

IRCICA
LIBRARY
1980